الاستدلال بتفسير ابن عباس
في إعراب القرآن

د. خالد بن إبراهيم النملة
قسم النحو الصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الاستدلال بتفسير ابن عباس في إعراب القرآن

د. خالد بن إبراهيم النملة
قسم النحو الصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر الرجوع إلى الثابت من التفسير بالمأثور في صحة التقدير الإعرابي، وثمرته في الترجيح بين الأوجه الجائزة في إعراب الآية من القرآن، وذلك لأجل الوصول بالتفسير والإعراب إلى التفهم الصحيح لكلام الله تعالى، ولتجنب حمل كلام الله تعالى وتفسيره بمجرد الاحتمال الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام.

وقد اخترت تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مثالاً، لمكانته في التفسير، ولتوفر المكونات الذاتية والخارجية التي أعلت شأن ابن عباس رضي الله عنهما، وأنزلت تأويله للقرآن بأعلى المنازل.

وجاءت الدراسة في ثلاثة أقسام، هي: القسم التمهيدي، وفيه الحديث عن تفسير ابن عباس ومقومات تميّزه، والحديث عن النحويين والتفسير بالمأثور، وبعده القسم التطبيقي، وهو عماد الدراسة، وفيه دراسة لأربع عشرة مسألة، ظهر فيها الثابت من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مويَّداً أحد الأوجه الإعرابية في كل مسألة منها. وفي القسم الثالث إلماحات سريعة إلى أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في التوجيه الإعرابي للقرآن.

Al-Istidlal bi Tafseer ibn Abbas fi I'rab Al-Qur'an (Guidance by the Exegesis of Ibn Abbas in the Parsing of the Qur'an)

Dr Khalid ibn Ibrahim Al-Namla

Department of Syntax, Morphology, and Philology- Faculty of Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract;

This study aims at investigating the influence of reference to what is reportdly confirmed of the exegesis, in what is narrated according to the right parsing, and the influence of favoring between permitted forms of parsing the verse in the Qur'an. It also aims to arrive, through exegesis and parsing, to the right understanding of Allah's words, and avoid the understanding and exegesis of His words through the parsing probability, which might be possible through the structure of speech.

I have chosen the exegesis of Ibn Abbas as an example due to its high status in the Qur'an interpretation, and the related and unrelated components that have elevated the position of Ibn Abbas (may Allah be pleased with them), and have set his exegesis in the highest status.

The study is divided into three parts: preparatory in which there is reference to: Ibn Abbas exegesis and the features that distinguish it, grammarians and their viewpoint on report interpretation,; and lastly, the practical part, where there is a study of fourteen issues, and in which what is reportedly confirmed of Ibn Abbas exegesis seems to have supported the parsing forms in these issues. The third part makes quick references to the impact of Ibn Abbas exegesis (may Allah be pleased with him) in the parsing of the Qur'an.

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليمًا كثيرًا. أمّا بعد:

فإن العلم بكلام الله عز وجل ودراسته تفسيرًا وإعرابًا من أولى ما عُني الباحثون بمراعاته، وأفضل ما تعبت الخواطر بمعاناته، إذ فيه من أسرار المعاني ما لا ينفد، ومن جمال التركيب ما لا يُجحد.

وإن المواءمة فيه بين صحة التفسير من جهة المعنى وسلامة التقدير من جهة الإعراب هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة؛ للوصول بالتفسير والإعراب إلى التفهّم الصحيح لكلام الله تعالى، ولتجنّب حملِ كلام الله تعالى وتفسيره بمجرّد الاحتمال الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام.

ومن هذا المنطلق نشأت فكرة هذه الدراسة؛ لبيان حاجة من يعرب القرآن إلى الرجوع إلى الثابت من التفسير بالمأثور، ولإظهار أثر ذلك في صحة التقدير الإعرابي، وثمرته في الترجيح بين الأوجه الجائزة في إعراب الآية من القرآن.

ثمّ أصدق العزمَ على المضي في الدراسة أصالتها، وصلتُها المباشرة بكتاب الله تعالى، وما يقتضيه البحث فيها من عودةٍ إلى كتب التفسير بالماثور وكتب إعراب القرآن للمعربين الأوائل، مع طول النظر والتأمّل فيها معنًى وتركيبًا.

وقد اخترت من التفسير بالمأثور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مثالاً؛ لمكانته في التفسير، ولتوافر المكوّنات الذاتية والخارجية التي أعلت شأن ابن عباس رضي الله عنهما، وأنزلت تأويله للقرآن بأعلى المنازل.

واقتضت طبيعةُ البحث والمادةُ العلمية لهذه الدراسة أنْ تكون في ثلاثة أقسام، هي:

القسم التمهيدي، وفيه المدخل إلى الموضوع من خلال مبحثين؛ تحدثت في أوّلهما عن تفسير ابن عباس ومقومات تميّزه، وفي الآخر عن النحويين والتفسير بالمأثور.

بعده القسم التطبيقي، وهو عماد الدراسة، وفيه دراسة لأربع عشرة مسألة ظهر فيها الثابت من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مؤيّدًا أحد الأوجه الإعرابية في كل مسألة منها. وقد رتبت المسائل بحسب ترتيب آياتها في القرآن، وبدأت كل مسألة بذكر أشهر الأقوال في إعراب الشاهد منها، جاعلاً القول الذي يعضده تفسير ابن عباس رضي الله عنهما آخر الأقوال فيها؛ ليتصوّر القارئ في البداية الأقوال في المسألة تصوّرًا عامًا، قبل ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وتعضيده للرأي الأخير منها.

وفي القسم الثالث أشرت بإلماحات سريعة إلى أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في التوجيه الإعرابي للقرآن، وكان المعتمدُ عليه فيه ما جاء في مسائل القسم الثاني، وجاء الحديث فيه من جهتين؛ من جهة عناية معربي القرآن الأوائل بتفسير ابن عباس، ومن جهة الموافقة والمخالفة بين تفسير ابن عباس ومعنى الإعراب عند النحويين.

وتعمّدت لأسباب عديدة أن تكون الدراسة بأقسامها الثلاثة مركّزة ومختصرة، ولذلك جاء الحديث في القسم الأول موجزًا، وفي القسم الثاني سريعًا في الدخول إلى ما له صلة بالموضوع، دون تفصيلٍ في إعراب الآية، أو مناقشةٍ لأقوال العلماء فيها والترجيح بينها. وفي القسم الثالث مومئًا إلى ملامح من أثر تفسير ابن عباس في التوجيه الإعرابي للقرآن.

وقد دعت كثرةُ المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما وما اشتملت عليه من تعارض في بعض معاني الروايات عنه إلى التوثيق والتحقيق في المرويّ عنه، ولهذا لم يُستدلّ هنا إلا بما ثبتت نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح أو حسن، وكان المنهج المتّبع في ذلك هو إثبات الرواية من أشهر كتب التفسير بالمأثور، واخترت

منها تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم، ثم تخريجها بالرجوع إلى الدراسات الحديثة التي عنيت بتحقيق نسبة الرواية إليه، ورجعت في ذلك إلى الدراسات الآتية:

١. الرسائل العلمية في تحقيق المرويّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مجموعة من رسائل (الماجستير) في قسم القرآن وعلومه، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خرّج الباحثون فيها الروايات المنقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما من الفاتحة إلى الناس.

٢. كتاب: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) للأستاذ الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين.

٣. كتاب: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، للدكتور: عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يهيّئ لها من يسدّد ما فيها من نقص، كما أسأله أن يجعلها لي في الأولى والآخرة فخرًا وذخرًا وأجرًا. والله أعلم، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وإخوانه إلى يوم الدين.

* * *

المدخل

تفسير ابن عباس رضي الله عنهما

يُعدّ الثابتُ من تفسير الصحابي للقرآن الكريم من أبرز الطرق المعتمدة في الوصولِ إلى الفهم الصحيح للمراد من كلام الله تعالى.

وهو أحد النوعين المتفق على دخولهما ضمن مصطلح التفسير بالمأثور[1]، ذلك أنّ تفسير القرآن بالقرآن لا يدخل على الصحيح في التفسير بالمأثور؛ لأنه لا نقل فيه حتى يكون طريقُه الأثرَ[2]، وتفسير التابعي في دخوله ضمن التفسير بالمأثور خلافٌ بين العلماء[3]. فبقي تفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بقول الصحابي اتّفاقًا.

ومن العلماء[4] من يرى أنّ تفسير الصحابي الذي شهد الوحي وعاش حياة التنزيل له حكم الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتهر جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفسير، ومنهم المكثر المتفرّغ لتعلّمه وتعليمه، كابن عباس وابن مسعود، ومنهم المقلّ لانشغاله عنه بصوارف أخرى، كالخلفاء الأربعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ويُعدّ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للقرآن الكريم من أوسع موارد التفسير المأثور، وأقربها للمعنى الصحيح لكلام الله تعالى؛ وذلك راجع للمكوّنات التي أحاطت بابن عباس رضي الله عنهما وبتفسيره فجعلته بأعلى المنازل في التفسير، وأدقّ المسالك في التأويل، ومن تلك المكوّنات :

١. المقوّمات الذاتية في شخصية ابن عباس رضي الله عنهما، فقد رزقه الله ذكاءً حادًا وذهنًا وقّادًا، وحافظةً قويّةً، وفهمًا ثاقبًا، فأعانته هذه الخصائص الفطرية على دقة

---

(١) من أشهر تعريفات التفسير بالمأثور أنّه: تفسير القرآن بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وله تعريفات أخرى، انظر: مناهل العرفان ٢/ ١٢، والتفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل ٢.

(٢) انظر: التفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل ٢.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٧٣.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٧.

النظر، وعمق الفهم للمعاني، والتفريق بين المتشابهات. قال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه[1]: "لقد أعطي ابن عباس فَهْمًا ولَقَنًا[2] وعِلمًا". وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[3]: "ما رأيت أحدًا أحضرَ فهمًا، ولا ألَبّ لُبًّا، ولا أكثر علمًا ولا أوسع حِلمًا من ابن عباس".

٢. تكرار دعاءِ النبي صلى الله عليه وسلم له أن يعلّمه الله الكتاب، وهذه من أعظم الخصائص التي اختص بها ابن عباس رضي الله عنهما في فهم التأويل، روى البخاري في الصحيح[4] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ضمّني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علّمه الكتاب". وفي رواية: "اللهم علّمه الحكمة".

وهذا الدعاء بهذه الألفاظ كان في بيت خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، لما وضع ابن عباس رضي الله عنهما الماء للنبي صلى الله عليه وسلم ليلاً ليتوضأ. ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم ثانيةً وعُمر بن الخطاب رضي الله عنه يشهد ذلك، قال ابن حجر[5]: "كان عمر يدعو ابن عباس ويقرّبه ويقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يومًا، فمَسَحَ على رأسك وقال: "اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل".

وقد أخبر ابن عباس رضي الله عنهما نفسُه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له مرتين[6].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧.

(٢) اللَقَنُ: سرعةُ الفهم، وغلامٌ لَقِنٌ: سريعُ الفهمِ. اللسان والقاموس المحيط (لقن).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧، والبداية والنهاية ١٢/٩٢.

(٤) كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم علّمه الكتاب"، رقم الحديث (٧٥)١/٣١، وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذكر ابن عباس، رقم الحديث (٣٧٥٦)، ٤/٢٦٢، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم الحديث (٧٢٧٠)، ٨/١٧٥.

(٥) فتح الباري ١/١٧٠.

(٦) انظر: جامع الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، رقم (٣٨٢٢) ورقم (٣٨٢٣)، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧.

وأثرُ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرٌ في لطيف فهم ابن عباس رضي الله عنهما لكلام الله تعالى، وعميق إدراكه لأبعاده وإشاراته الدلالية.

٣. المصادر التي أخذ منها العلم والتأويل، فقد كانت قرابةُ ابن عباس رضي الله عنهما من النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها مؤهلةً له للقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة الأخذ منه. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم لازم ابن عباس رضي الله عنهما كبار الصحابة وأخذ منهم الفقه والتأويل، ومن أبرزهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب رضي الله عنهم[١].

٤. علمه بالعربية ولغاتها وغريبها، وسعة اطّلاعه على كلام العرب، وقوة استحضاره لما تحويه ذاكرته من الشعر الجاهلي.

٥. اعتناؤه بتفسير القرآن تعلّمًا وتعليمًا، ومن اعتنى بشيء وأفرغ له ذهنه وبذل له وقته وجهده أوتي حكمتَه، وابن عباس رضي الله عنهما أضاف إلى المكوّنات السابقة عنايته بالتعلّم والتعليم، ففي التعلّم قال ابن عباس رضي الله عنهما عن نفسه[٢]: "إن كنتُ لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقال أيضًا[٣]: "لما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلتُ لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجبًا لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فترك ذلك، وأقبلتُ أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنْ كان ليبلغني الحديثُ عن الرجل فآتي بابَه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريحُ عليّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلّا أرسلت إلي فآتيك؟

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٠٠/١٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤٤/٣، وقال الذهبي: "إسناده صحيح"، والبداية والنهاية ٨٨/١٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤٢/٣-٣٤٣، والبداية والنهاية ٨٦/١٢.

فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال: فأسألُه عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ مني".

وفي التعليم تذكر كتب السير[1] أن ابن عباس رضي الله عنهما عاد إلى مكة بعد مقتل علي بن أبي طالب، وتفرّغ فيها للتعليم، وازدحم الناس عليه في بيته والمسجد، وأفرغ وقتَه للتفسير خاصة، وجلس للإملاء والعرض، فتخرّج في مدرسته كبار المفسرين من التابعين، ومن أبرزهم: عكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير رحمهم الله، وغيرهم.

وكان مجاهد بن جبر يسأل ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس رضي الله عنهما: اكتب، فيكتب، حتى سأله عن التفسير كلّه[2]. وقال مجاهد[3]: "عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أُوقِفه عند كل آية منه، وأسأله عنها".

ولهذا التوافر في المكوّنات والتكامل في المقوّمات عند ابن عباس رضي الله عنهما تتابع عليه ثناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وأقرّوا له بالفضل والتميّز، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُدخله مجلسَه مع أشياخ بدر، وهو شاب في سن أبنائهم[4]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه[5]: "نِعمَ ترجمانُ القرآن ابنُ عباس"، وقال أبيّ بن كعب رضي الله عنه لولده محمد[6]: "هذا يكون حَبرَ هذه الأمة، أرى عقلاً

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١، والبداية والنهاية ١٢/٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١/٨٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/٨٥، ٣/٧٥٥، وحسّن إسناده الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره إنّه كان توّابًا﴾، رقم الحديث (٤٩٧٠)، ٦/١١٣.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٧، والبداية والنهاية ١٢/٩٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١/٨٤، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٤٨.

وفهماً"، وقال عبدالله بن عُمر رضي الله عنهما[1]: "ابن عباس أعلمُ الناس بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم".

وقد صرّح الزركشي[2] بأن قول ابن عباس مقدَّم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير.

النحويون والتفسير بالمأثور

صاحَبَ النحوُ في نشأته وتطوّره ظهورَ مدرستي التفسير بالمأثور في مكة برئاسة ابن عباس رضي الله عنهما ومن بعده من تلاميذه، وفي والكوفة برئاسة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ومن بعده من تلاميذه. وفي كنف تلك الظلال العلمية التي تدرُس كتاب الله تعالى، وتتباحث لأجل الوصول إلى الفهم الصحيح لكلامه عزّ وجلّ نهضت الدراسات النحوية، وظهرت المؤلفات في النحو عامة، وفي إعراب القرآن بصورة خاصة.

ولهذا لم يكن للنحويين الذين عُنوا بالتوجيه الإعرابي للقرآن بدٌّ من التأثر بالتفسير المأثور ومراعاته عند النظر في الأوجه الإعرابية للآية، بل والتحاكم إليه عندما يتنازع المسألةَ الواحدةَ أكثرُ من وجه إعرابي صحيحٍ من جهة الصناعة النحوية.

فالمعرب للقرآن كان آنذاك ينظر في الغالب إلى معنى الآية وما جاء في تفسيرها بعين، وينظر بالعين الأخرى إلى النظام اللغوي والقاعدة الإعرابية، ثم يختار الوجه الإعرابي الذي يكون هو والمعنى على سَمتٍ واحد، ويوافق المأثور في تفسير الآية.

والتطبيقات عند النحويين في هذا الجانب كثيرة ومتنوّعة، وفي التفصيل الآتي عرضٌ سريع لثلاثة أنواع من تلك التطبيقات، مع ذكر مثالين على كل نوع:

النوع الأول: ذكرُ التوجيه الإعرابي للآية والاحتجاج له بقول المفسرين، ومن أمثلته:

١. في بيان المعنى والتقدير الإعرابي لقول الله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [النحل: ٦٢] ذكر سيبويه أنّ ﴿جَرَمَ﴾ عملت الرفع في ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ لأنها فعلٌ بمعنى

(١) انظر: البداية والنهاية ٩٢/١٢.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١٨٣/٢.

(حَقّ)، والمعنى: لقد حقّ أنّ لهم النارَ، ثم قال[1]: "وقولُ المفسرين: معناها: حقًّا أنّ لهم النارَ، يدلّك أنها بمنزلة هذا الفِعل إذا مُثّلت". وقال الفراء بعدما ذكر أنّ الأصل في تركيب (لاجَرَمَ) أنّها بمنزلة (لا بُدّ)، وأنّها لما كثُر استعمال العرب إياها صارت بمنزلة حقًّا[2]: "وكذلك فسّرها المفسّرون بمعنى الحقّ". فسيبويه والفراء يحتجان بقول المفسرين في معنى ﴿جَرَمَ﴾ على توجيه إعرابها وعملها فيما بعدها.

٢. ذكر المبرّد[3] أنّ الواوَ في ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] واوُ الحال، وأنّها بمعنى (إذْ)، فقال[4]: "ومثل ذلك قوله: ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، والمعنى والله أعلم: إذ طائفة في هذه الحال، وكذلك قولُ المفسّرين".

النوع الثاني: ذكرُ قولِ المفسّرين على أنّه رأي آخر جائزٌ في التوجيه الإعرابي للآية، ومن أمثلته:

١. في إعراب قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ذهب سيبويه إلى تقدير حرف الجر، والمعنى: ولأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا، ثم ذكر قول المفسرين في أنها معطوفة على ما في أوّل السورة، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] فقال[5]: " وأما المفسّرون فقالوا: على ﴿أُوحِيَ﴾ كما كان ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] على ﴿أُوحِيَ﴾". وقال المبرّد[6]: "وكذلك قوله عند الخليل: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا

---

(١) الكتاب ٣/ ١٣٨، وانظر في تفسير ﴿لا جَرَمَ﴾ بمعنى حقًا: تفسير الطبري ١٢/ ٣٧٣، ١٤/ ٢٦٢.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٨، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٤٥.

(٣) انظر: المقتضب ٢/ ٦٤، ٣/ ٢٦٣، ٤/ ١٢٥، والكامل ٤٢٥.

(٤) المقتضب ٤/ ١٢٥، وانظر في تفسير ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: تفسير القرطبي ٥/ ٢٧٠.

(٥) الكتاب ٣/ ١٢٧، وانظر في تفسير ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أُوحِيَ﴾: تفسير الطبري ٢٣/ ٣٤٠.

(٦) المقتضب ٢/ ٣٤٦.

مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، أي: ولأنّ. وأما المفسّرون فقالوا: هو على ﴿أُوحِيَ﴾، وهذا وجهٌ حسَنٌ جميلٌ".

٢. ذكر النحاسُ رأيين في نوع ﴿إِنْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، هما أنّها شرطية أو نافية، وبنى الثاني منهما على المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقال[١]: "إنْ جعلت ﴿إِنْ﴾ للشرط فـ﴿كَانَ﴾ في موضع جزم، وإن جعلتها بمعنى (ما) فلا موضع لـ﴿كَانَ﴾. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ قال: "يقول لم يكن للرحمن ولد"، قال أبو جعفر: جعل ﴿إِنْ﴾ بمعنى (ما) كما قال جل وعز: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ [الملك: ٢٠]، أي: ما الكافرون إلا في غرور".

النوع الثالث: ردّ التقدير الإعرابي لمخالفة معناه للتفسير، ومن أمثلة ذلك:

١. نقل الفراء في إعراب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] رأيَ الكسائي في إعراب ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ أنّه معطوف على الضمير الفاعل في ﴿هَادُوا﴾، على أنّ معنى ﴿هَادُوا﴾: تابوا، لا على أنّها من اليهودية، ثم ردّ قوله وما يتضمنه من تقدير إعرابي بأنه خلاف ما جاء في التفسير، فقال[٢]: "قال الكسائي: أرفعُ ﴿الصَّابِئُونَ﴾ على إتباعه الاسم الذي في ﴿هَادُوا﴾. ويجعلُه من قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، لا من اليهودية. وجاء التفسير بغير ذلك".

٢. علّق الفراء[٣] الجار والمجرور ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١-٢] بـ﴿بِعَذَابٍ﴾، على أن اللام في

---

(١) إعراب القرآن ٤/١٢٢، وانظر الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ في: تفسير الطبري ٢٠/٦٥٤.

(٢) معاني القرآن ١/٣١٢، وانظر في تفسير ﴿هَادُوا﴾ بمعنى اليهودية: تفسير الطبري ٢/٣٢.

(٣) انظر: معاني القرآن ٣/١٨٣.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ للاستحقاق، والمعنى: سأل سائل بعذاب مستحقٍ أو واجبٍ للكافرين، واقعٍ بهم. ثم جاء النحّاسُ فردّ إعرابَ الفراء، وجعل الجار والمجرور ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ متعلّقًا بـ﴿وَاقِعٍ﴾، وممّا احتج به أنّ التفسير المأثور على خلاف قول الفراء، فقال[1]: "وأهل التأويل على غير قوله، قال مجاهد: وواقعٌ في الآخرة".

الدراسة التطبيقية

في هذا القسم مسائل مختاراتٌ في إعراب القرآن، رُبط بينها وبين الثابت من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما؛ لتبيّن أثر تفسيره في تقوية أحد الآراء في التوجيه الإعرابي للآية، من خلال التوافق بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما والمعنى الذي يؤول إليه القول بأحد الأوجه الإعرابية في الآية.

وقد جاءت هذه التطبيقات المختارة من مواضع متفرّقةٍ من القرآن متنوّعةً في الجانب الإعرابي الذي تتناوله، ففيها إعراب الفعل المضارع، وتوجيه العطف، وبيان نوع الحرف ومعناه، وفيها إعراب المفرد والجملة وشبه الجملة، وفيها النظر في الحذف والتقدير، والتقديم والتأخير، وبيان ما يعود إليه الضمير.

١. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلبِسُواْ ٱلحَقَّ بِٱلبَٰطِلِ وَتَكتُمُواْ ٱلحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

أجاز عدد من النحويين ومعربي القرآن وجهين إعرابيين في قوله تعالى: ﴿وَتَكتُمُواْ﴾، هما:

الأول: النصب بـ(أن) المضمرة بعد الواو على رأي البصريين[2]، أو بالصرف على رأي الكوفيين[3].

الثاني: الجزم عطفًا على ﴿تَلبِسُواْ﴾.

---

(١) إعراب القرآن ٥/ ٢٨، وانظر قول مجاهد في: تفسير الطبري ٢٣/ ٢٤٩.

(٢) انظر: الكتاب ٣/ ٤٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٩.

وقد اكتفى كثيرٌ من معربي القرآن بذكر الإعرابين السابقَين دون ترجيح أحدهما على الآخر[1]، على الرغم من اختلاف المعنى بينهما.

لكن عددًا آخر منهم رجّح الجزم على النصب، على اختلاف بينهم في الاستدلال على الترجيح؛ فالفراء[2] بدأ بذكر الجزم عطفًا على ﴿تَلبِسُواْ﴾، أي: ولا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تكتموا الحق، واستدلّ على أنّه مستقيمٌ صوابٌ بآيات شبيهة بهذه الآية في الإعراب، كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: ولا تُدلوا بها إلى الحكام، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، أي: ولا تخونوا أماناتكم.

وتجمُل الإشارة هنا إلى أنّ الآيتين اللتين استدلّ بهما الفراء على تقوية الجزم في ﴿وَتَكتُمُواْ﴾ مختومتان بما ختمت به الآية محل النظر، وهو قوله: ﴿وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾، ولا أحسب أن هذا جاء عند الفراء مصادفة دون قصدٍ منه في الربط بين هذه الآيات.

وفريق من المعربين[3] استدلّ على تقوية الجزم بالمعنى؛ إذ الجزم يقتضي من جهة المعنى النهي عن كل واحد من الفعلين ﴿تَلبِسُواْ﴾ و﴿وَتَكتُمُواْ﴾ دون تقييده بالمصاحبة بينهما، أما النصبُ بالحرف أو بالصرف فيقتضي النهي عن الجمع بينهما، وهذا يدل بمفهومه على جواز فعل كل واحد منهما على حِدتِه، وهذا ليس بظاهر، بلْ هو خلاف المراد، ولهذا فالوجه عندهم هو الجزم.

وتضيف الدراسة إلى ترجيح الجزم دليلاً ثالثًا، وهو موافقة المعنى على وجه الجزم للتفسير المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقد روى الطبري[4] وابن أبي حاتم[5]

---

(١) انظر: الكتاب ٣/ ٤٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٢٤، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٩، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٩٢، والكشاف ١/ ٢٩٥، والمحرر الوجيز ١/ ١٣٥، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٨، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٣.

(٢) انظر: معاني القرآن ١/ ٣٣.

(٣) انظر: المقتصد للجرجاني ٢/ ١٠٢٧، والبحر المحيط ١/ ٣٣٥، والدر المصون ١/ ٣٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١/ ٦٠٩.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٩٨.

بسنديهما الحسنين[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "﴿وَتَكتُمُواْ ٱلحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾: لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم".

وفي رواية أخرى عند الطبري[2] بالسند الحسن نفسه[3] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿وَتَكتُمُواْ الحَقَّ﴾: "أي: ولا تكتموا الحق".

وقد تنبّه الطبري في تفسيره[4] إلى هذا الدليل من ابن عباس رضي الله عنهما، فقد ابتدأ تفسير ﴿وَتَكتُمُواْ الحَقَّ﴾ بذكر وجهين من التأويل، الأول منهما: أن يكون الله تعالى نهاهم عن كتمان الحق كما نهاهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل، ويكون قوله: ﴿وتَكتُمُواْ﴾ مجزومًا بما جزم به ﴿تَلبِسُواْ﴾ عطفًا عليه.

والوجه الآخر: أن يكون النهي عن أن يلبسوا الحق بالباطل، ويكون ﴿وَتَكتُمُواْ الحَقَّ﴾ خبرًا من الله تعالى عنهم بكتمانهم الحق الذي يعلمونه، فيكون ﴿وتَكتُمُواْ﴾ منصوبًا بما يسمّيه النحويون الصرف.

ثم قال الطبري بعد هذا[5]: "فأمّا الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما فهو على مذهب ابن عباس الذي حدثنا به أبو كُرَيب، قال:...."، ثم ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما السابق بسنده من طريقين.

وهذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما يوافقه المعنى الذي ذكره النحويون في جزم ﴿تَكتُمُواْ﴾ عطفًا على ﴿تَلبِسُواْ﴾، قال سيبويه[6]: "إن شئت جعلت ﴿وتَكتُمُواْ﴾ على

---

(١) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ١٤٨/١، والمفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص ٢٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٦٠٨/١.

(٣) انظر في تحسين السند: المفسر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص ٢٢٦.

(٤) انظر: ٦٠٨/١.

(٥) تفسير الطبري ٦٠٨/١.

(٦) الكتاب ٤٤/٣.

النهي"، وقال الفراء[1]: "إن شئت جعلت ﴿وتَكتُمُواْ﴾ في موضع الجزم، تريد به: ولا تلبسوا الحق بالباطل، ولا تكتموا الحق، فتلقي (لا) لمجيئها أول الكلام"، وقال الزجاج[2]: "﴿وتكتموا﴾ يصلح أن يكون جزمًا، على معنى: ولا تكتموا الحق".

٢. قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]

تعدّدت أقوال معربي القرآن[3] في توجيه الجر في ﴿الْمَسْجِدِ﴾ في هذه الآية، ومن أشهر تلك الأقوال:

الأول: العطف على ﴿الشَّهْرِ﴾، والمعنى: يسألونك عن الشهرِ الحرامِ والمسجدِ الحرامِ قتالٍ فيهما[4].

الثاني: العطف على الضمير المجرور في ﴿بِهِ﴾، ويكون المعنى: وكفرٌ به وكفر بالمسجد الحرام[5].

الثالث: الجر بحرف جر محذوف يدل عليه ما قبله، والتقدير: وكفرٌ به وبالمسجد الحرام، ويكون مجموع الجار والمجرور في (بالمسجد) معطوفًا على الضمير المجرور في ﴿بِهِ﴾[6].

الرابع: الجر بالواو على أنها حرف قسم[7].

الخامس: العطف على ﴿سَبِيلِ﴾، والمعنى: وصدٌّ عن سبيل الله وعن المسجدِ الحرام.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/٣٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/١٢٤، وانظر: المقتصد للجرجاني ٢/١٠٢٧، والبحر المحيط ١/٣٣٥، والدر المصون ١/٣٢١.

(٣) انظر الأقوال مجملة في: البحر المحيط ٢/١٥٥، والدر المصون ٢/٣٩٣.

(٤) هذا رأي الفراء في معاني القرآن ١/١٤١.

(٥) اختاره أبو حيان والسمين الحلبي، انظر: البحر المحيط ٢/١٥٥، والدر المصون ٢/٣٩٣.

(٦) هذا رأي ابن هشام في المغني ٦/٥٥.

(٧) ذكره ابن عصفور في شرح الجمل ١/٢٤٨.

وإلى هذا القول الأخير ذهب كثيرٌ[1] من النحويين، ومن هؤلاء مَن[2] استدل على التعاطف بين كلمتي ﴿الْمَسْجِدِ﴾ و﴿سَبِيلِ﴾ بموضعين من القرآن مساقهما قريبٌ من مساق هذه الآية، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥] ممّا يدلّ عنده على صحة التعاطف بين الكلمتين في الآية محل النظر.

وتضيف الدراسة دليلاً آخر يتقوّى به القول بعطف ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على ﴿سَبِيلِ﴾، وهو أن معنى هذا الوجه الإعرابي موافقٌ لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للآية، فقد روى الطبري[3] وابن أبي حاتم[4] بسنديهما الحسنين[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: "وصدٌّ عن المسجد الحرام".

وهذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما هو المتّفِق بلفظه مع قول مَن عطف ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على ﴿سَبِيلِ﴾، قال الأخفش[6]: " وقال: ﴿وكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على: وصدٌ عن المسجد الحرام، وقال الزمخشري[7]: "صدُّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرُهم بالله وإخراجُ أهله..."، وقال أبو البركات الأنباري[8]: "أي صدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام".

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش ١/١٨٤، وتفسير غريب القرآن ٨٢، وتفسير الطبري ٣/٦٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ١/٣٠٨، ومشكل إعراب القرآن ١/١٢٨، والكشاف ١/٤٢٥، والمحرر الوجيز ١/٥٢٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/١٥٢.

(٢) انظر: الحجة للفارسي ٣/١٢٨، ١٢٩، وكشف المشكلات ١/١٥٨، ١٥٩، والتبيان في إعراب القرآن ١/١٧٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/٦٥٧.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/٣٨٦.

(٥) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ١/٣٢٨.

(٦) معاني القرآن للأخفش ١/١٨٤.

(٧) الكشاف ١/٤٢٥.

(٨) البيان في غريب إعراب القرآن ١/١٥٢.

وبهذا يتقوّى بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما عطف ﴿الْمَسْجِدِ﴾ على﴿سَبِيلِ﴾.

وإنّ من تمام القولِ الإشارةَ إلى أنه يُشكل على هذا الإعراب بهذا المعنى إشكالٌ في الصناعة النحوية ذكره بعض المعربين[1]، وهو أنه يقتضي الفصل بالأجنبي وهو ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بين المصدر وهو ﴿صَدٌّ﴾ وما هو من تمام صلته وهو ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهذا الفصل لايجوز.

وقد تنبّه الأصفهاني ـ وهو من القائلين بهذا الإعراب الذي يعضده تفسيرُ ابن عباس رضي الله عنهما ـ إلى هذا الإشكال، وأوضح الإجابة عنه فقال[2]: "فإن قيل: فأنتم إذا حملتم قوله: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على قوله: ﴿سَبِيلِ اللهِ﴾ كان التقدير: وصدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، فيكون في صلة الصدّ؛ لأنّ المعطوف على الصلة في الصلة، فلا يجوز الفصل بين ﴿سَبِيلِ اللهِ﴾ وبين ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ حينئذٍ بقوله: ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾؛ لأنّه هو مصدر معطوف على الصد، والموصول لا يعطف عليه إلا بعد تمامه، قلنا: نضمر له ما يتعلّق به لجَرْي ذكره، فكأنّه قال: وصدوكم عن المسجد الحرام".

ولعل مما يمكن أن يجاب به عن الإشكال الحملَ على التقديم والتأخير بين ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ و﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيكون تقدير الكلام: وكفرٌ بالله وصدٌّ عن سبيلِ اللهِ وعن المسجد الحرام وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله، ويُقدّم الكفر بالله على الصد عن سبيله. وبهذا الحمل يستقيم المعنى والتقدير الإعرابي. والله أعلم.

٣. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]

ذكر بعض معربي القرآن[3] رأيين في التوجيه الإعرابي لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، هما:

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن ١٧٥، والبحر المحيط ٢/ ١٥٥، والدر المصون ٢/ ٣٩٣، والمغني ٦/ ٥٤.

(٢) كشف المشكلات ١/ ١٦٠، ١٦١، وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٥٢.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢١٩، والبحر المحيط ٢/ ٤٩٧، والدرّ المصون ٣/ ٢١٣.

الوجه الأول: أنّ الكلام على حاله، من غير تقديم وتأخير بين التوفي والرفع. وبهذا الوجه لا يكون التوفي بمعنى الموت، وإنما يكون بأكثر من معنى، منها استيفاء الأجل أي إتمامه وإكماله، وهذا في المستقبل، أي سيكتب لك إتمام الأجل، ومنها النوم كالذي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ومنها تأخير الأجل، ومنها العصمة من القتل، ومنها الأخذ والقبض تامًّا، كما يقال: توفيت مالي من فلانٍ أي أخذته وقبضته تامًّا، ومنها غير ذلك.

وجعل السمين الحلبي[١] هذا الوجه أظهر الوجهين.

واستدل بعض من ذكر هذا الوجه[٢] بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

الوجه الثاني: أنّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأنّ المعنى: إني رافعك إليّ ومتوفّيك. وبهذا الوجه يكون التوفّي بمعنى الموت الحقيقي؛ وذلك لأنّ الواو لمطلق الجمع دون الدلالة على ترتيب؛ ولأنّ الأمّة مجمعة على أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء، وأنه فيها حيٌّ، وأنّه ينزل في آخر الزمان، ثم يُتوفّى بعد ذلك[٣].

وقد بدأ عدد من المعربين[٤] بذكر هذا الوجه الثاني دون أن يستدلوا له بدليل، وذكروا الوجهَ الأولَ بصيغ يُفهم منها أنهم لا يختارونه، كقول الفراء[٥]: "وقد يكون الكلام غيرَ مقدّم ولا مؤخّر"، وقول الزجاج[٦]: "وقال بعضهم:..."، وقول أبي البركات الأنباري[٧]: "وقيل: معنى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك ورافعك إليّ".

---

(١) انظر: الدرّ المصون ٣/٢١٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤/١٠٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٠، وزاد المسير ١/٣٤٧.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢٣٧، والبحر المحيط ٢/٤٩٧، والدرّ المصون ٣/٢١٣.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٢١٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٠، وكشف المشكلات ٢٣٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٠٦، والتبيان في إعراب القرآن ٢٦٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٢١٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٢٠.

(٧) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٠٦.

وتضيف الدراسة لهذا الوجه الثاني دليلاً من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يتقوّى به القول الثاني، وهو القول بالتقديم والتأخير، فقد روى البخاري في صحيحه[1] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: مُمِيتُك".

كما روى الطبري[2] وابن أبي حاتم[3] بسند صحيح[4] أو حسَن[5] أنّ ابن عباس رضي الله عنهما فسّر التوفّي بالموت، فقال: "﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يقول: إنّي مُمِيتُك".

وفي رواية ذكرها السيوطي[6] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾: "يعني: رافعُك ثمّ متوفّيك في آخر الزمان".

فتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للتوفّي في الآية بالإماتة وهي الوفاة الحقيقية يقوّي القول بأن المعنى: إني رافعك إلي ثم مميتك، أي على التقديم والتأخير في الآية. وهذا هو ظاهر المعنى في التوفّي، وهو الأكثر في القرآن.

٤. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

ذكر عددٌ من معربي القرآن[7] أنّ ﴿النِّسَاءَ﴾ في الآية منصوب على المفعول به للفعل ﴿تَرِثُوا﴾، وأنّ توجيه النصب يحتمل أحد وجهين من جهة المعنى، ومن جهة الإعراب،

---

(١) كتاب التفسير، سورة المائدة، في نص ترجمة الباب رقم (١٣) ٥/ ٢٢٧.

(٢) تفسير الطبري ٥/ ٤٥٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٤/ ٦٦١.

(٤) انظر في تصحيح السند: المفسر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ص ٥٩٣.

(٥) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ١/ ٤١٩، وتفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة ١٦٩.

(٦) انظر: الدر المنثور ٣/ ٥٩٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٦/ ٥٢١-٥٢٢، ٥٢٥-٥٢٦، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٤٣، والتبيان في إعراب القرآن ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٩٨-٤٩٩، والبحر المحيط ٣/ ٢١١، ٢١٢، والدر المصون ٣/ ٦٢٧.

وذكر بعضهم مع كل وجه إعرابي روايةً عن ابن عباس رضي الله عنهما تعضد الرأيَ وتفسّر معناه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الوجه الأول: أن ﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به مباشرة للفعل ﴿تَرِثُوا﴾ من غير تقدير حذف مضاف، فيكنّ هن الموروثات بعد وفاة أزواجهن، ويكون الخطاب في هذا لأولياء الميت وأقاربه، والمعنى: لا يحل لكم أن ترثوا من المتوفّى نساءَه كما ترثون أمواله.

وقد أوضح الطبري ـ وهو ممّن اختار هذا الوجه ـ معنى كون النساء موروثات فقال[1]: "فإن قال قائل: كيف كانوا يرثونهنّ؟ وما وجه تحريم وراثتهنّ وقد علمتَ أنّ النساء مورَّثاتٌ كما الرجال مورَّثون؟ قيل: إن ذلك ليس من معنى وراثتهنّ إذا هنّ متن فتركن مالاً، وإنما ذلك أنهنّ في الجاهلية كانت إحداهنّ إذا مات زوجها كان ابنُه أو قريبُه أولى بها من غيره، ومنها بنفسها، إنْ شاء نكحها وإنْ شاء عَضَلها فمنعها من غيره ولم يتزوجْها حتى تموت، فحرّم الله ذلك على عباده".

الوجه الثاني: أن ﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به على تقدير حذف مضاف، والتقدير: لا يحل لكم أن ترثوا أموالَ النساء، أو تركاتِ النساء، فيكون الموروث على هذا التقدير هو الأموال وليس النساءَ أنفسَهن، ويكون الخطاب في هذا للأزواج.

قال السمين الحلبي وقد بدا بذكر هذا الوجه[2]: "و﴿النِّسَاءَ﴾ مفعول به؛ إما على حذف مضاف، أي: أن ترثوا أموال النساء، إنْ كان الخطاب للأزواج؛ لأنّه رُوي أنّ الرجل منهم إذا لم يكن له غرض في المرأة أمسكها حتى تموت فيرثها، أو تفتدي منه بمالها إن لم تمت".

وأدخل ابن عطية[3] في هذا الوجه صورًا أخرى من النهي عن إرث أموال النساء، يختلف فيها المخاطب في الآية، لكنّها لا تخرج من جهة الإعراب من التقدير المذكور،

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٥٢١، واختار الطبري هذا الوجه في ٦/ ٥٢٧.

(٢) الدر المصون ٣/ ٦٢٧.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٨-٤٩٩، ونقله أبو حيان في البحر المحيط ٣/ ٢١١.

ومن ذلك: إمساك الآباء بناتِهم دون تزويج حتى يمتن فيرثوا أموالهن، والخطاب في هذا للآباء، أو من كان في حجره يتيمةٌ، لها مالٌ، فيكره أن يزوجَها غيرَه طمعًا في مالها، فيتزوجُها كرهًا لأجل ذلك، والخطاب فيه لأولياء اليتامى.

وقد أورد الطبري[1] بعدما ذكر الوجه الأول ما يؤيد ذاك التأويلَ والإعرابَ من التفسير المأثور، ومن أصحّ ما أورده روايةٌ في صحيح البخاري[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته، إنْ شاء بعضهم تزوّجها، وإنْ شاؤوا زوَّجوها، وإنْ شاؤوا لم يزوّجوها، فهم أحقّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك".

فقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته" يقوّي نصبَ ﴿النِّسَاءَ﴾ على المفعول به، بإيقاع الفعل عليه مباشرة. ويكون معنى الآية النهي عن أن يرثوا النساءَ من أزواجهنّ بعد وفاتهم كما يورث المالُ بعد وفاة صاحبه.

ثمّ ذكر الطبري[3] الوجه الثاني في تأويل الآية، ونقل أقوال القائلين به، ومن ذلك ما رواه بسنده الحسن[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمُه ثوبَه، فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوّجها، وإن كانت دميمة حبَسَها حتى تموتَ فيرثَها".

والذي يظهر بعد النظر في الروايتين اللتين نقلهما الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه لا تعارض بينهما، بل الثانية منهما تؤكد معنى الأولى وإعرابَ ﴿النِّسَاءَ﴾ فيها، وتضيف إليها معنًى زائدًا غيرَ مخالف للمعنى الأول، وذلك أنّ قولَ ابن عباس رضي الله

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٦/٥٢١.

(٢) كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾، الحديث رقم (٤٥٧٩)، ٥/٢١١، وكتاب الإكراه، الباب رقم (٥): باب من الإكراه كره وكره واحد، الحديث رقم (٦٩٤٨)، ٨/٧٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٦/٥٢٦. ورواه بالسند نفسه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٠٢.

(٤) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢/٢٠، وتحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص٢٠٥.

عنهما في الوجه الثاني: "كان الرجل إذا مات وترك جاريةً ألقى عليها حميمُه ثوبَه، فمنعها من الناس" موافقٌ للمعنى في الوجه الأول، وهو قوله: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته"، وفيه زيادةُ بيانٍ لطريقة إرث ولي الميتِ أو حميمِه المرأةَ بوضع ثوبه عليها، ومنعِها من الناس. وقولَه في الوجه الثاني: "فإن كانت جميلة تزوّجها، وإن كانت دميمة حبَسَها حتى تموتَ" قريبٌ جدًا من معنى قوله في الوجه الأول: "إنْ شاء بعضهم تزوّجها، وإنْ شاؤوا زوَّجوها، وإنْ شاؤوا لم يزوّجوها".

والذي زاد في قول ابن عباس رضي الله عنهما في الوجه الثاني هو النص على الإرث منها، وذلك قوله في آخره: "فيرثَها"، وهذا هو المعنى الإضافي في هذا القول، وهو المعنى الذي التفت إليه الطبري فيما يبدو، وساق الرواية من أجله.

وهذا المعنى غير مُعارِض للمعنى العام في الوجه الأول، بل هو متمّمٌ له، وهو نتيجة إرثه المرأةَ نفسَها، بأنْ يُتبع ذلك إرثَه أموالَها بعد موتها، بعدما ورثها هي بعد موت والده أو قريبه، فهو يرثُ المرأةَ نفسَها أي يتملّكها بعد وفاة زوجها، ثم يرثُ أموالها بعد وفاتها.

وبهذا يمكن القول: إن الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما تؤولان بتكاملهما إلى تقوية الوجه الأول وهو نصب ﴿النِّسَاءَ﴾ على أنه مفعول به دون تقدير مضاف محذوف.

ويعضُد هذا فيما يظهر أمران:

أولهما: أن الطبري[1] أورد من بين الأقوال في الوجه الأول قولاً آخر مسندًا إلى ابن عباس رضي الله عنهما غيرَ الذي في البخاري، وهذا القول لا يكاد يختلف عن قول ابن عباس رضي الله عنهما في الوجه الثاني، وهو قوله رضي الله عنه في تفسير الآية: "كان الرجلُ إذا مات أبوه أو حميمُه فهو أحقّ بامرأته، إنْ شاء أمسَكها، أو يحبسُها حتى تفتديَ منه بصداقها، أو تموتَ فيذهَبَ بمالِها". وبموازنة هذا القول مع قوله السابق في الوجه الثاني: "كان الرجلُ إذا مات وترك جاريةً ألقى عليها حميمُه ثوبَه، فمنعها من الناس، فإن كانت جميلةً تزوّجها، وإن كانت دميمةً حبَسَها حتى تموتَ فيرثَها" يتبيّن أن

(١) انظر: تفسير الطبري ٦/٥٢٣.

المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما في الوجه الثاني يؤول إلى الوجه الأول، وإن جعل الطبري رحمه الله أقواله مفرقةً بين الوجهين.

والآخر: ما أورده الفراء والزجاج في بيان معنى الآية، لما جمع كل واحد منهما المعنيين اللذين تضمنتهما الروايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما في صياغة واحدة، دون ذكر للتقدير الإعرابي، فالفراء قال[1]: "كان الرجل إذا مات عن امراته وله ولد من غيرها وَثَبَ الولدُ فألقى ثوبَه عليها فتزوّجَها بغير مهر إلا المهر الأول، ثم أضرَّ بها ليرثَها ما وَرِثَت من أبيه فأنزل الله تبارك وتعالى..."، وقال الزجاج[2]: "معناه: تُكرهونهن على التزويج بكم، وهذه نزلت لأنهم كانوا إذا مات زوجُ المرأة وله ولدٌ من غيرها ضَرَبَ ابنُه عليها حجابًا، وقال: أنا أحقُّ بها، فتزوّجَها على العقد الذي كان عَقَدَه أبوه من تزوُّجها ليرثها ما ورثت من أبيه، فأعلَمَ الله عزّ وجلّ أنّ ذلك حرام".

وعلى التسليم بعدم صحة الجمع بين روايتي ابن عباس رضي الله عنهما في الوجهين تتقوّى الرواية في الوجه الأول؛ لأنّها في الصحيح، على الرواية الحسَنة في الوجه الثاني، وبهذا التقوّي يترجّح إعراب ﴿النِّسَاءَ﴾ مفعولاً به دون تقدير مضاف محذوف.

٥. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]

تنظُر هذه المسألة في توجيه الرفع في ألفاظٍ من هذه الآية، وهي: كلمة ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ الأولى وما عطف عليها، وكلمة ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ في الموضع الثاني، وكلمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ وما عطف عليها، وكلمة ﴿فَصِيَامُ﴾.

والقول في توجيه واحدة منها يصدق على بقية الكلمات في الآية ،كما سيأتي في نهاية المسألة.

---

(١) معاني القرآن ١/ ٢٥٩.
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٠.

وقد أجاز بعض معربي القرآن[1] في رفع كلمة ﴿تَحْرِيرُ﴾ الأولى ثلاثة أوجه، هي:

الوجه الأول: أنها فاعل لفعل محذوف، تقديره: فيجب عليه تحريرُ رقبة.

الوجه الثاني: أنّها خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فالواجب أو فكفّارته تحرير رقبة.

الوجه الثالث: أنّها مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: فعليه تحرير رقبة مؤمنة.

وهذا الوجه الأخير هو الذي عليه أكثر المعربين[2]، قال الفراء[3]: "وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ مرفوع على قولك: فعليه تحريرُ رقبة".

وتضيف الدراسة دليلاً يعضد هذا الرأي، وهو موافقته لأقوال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية؛ فقد أخرج الطبري[4] بسنده الحسن[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ الأولى: "يعني بالمؤمنة من عقل الإيمان وصام وصلّى، فإن لم يجد رقبة فصيام شهرين متتابعين، وعليه دية مسلّمة إلى أهله إلا أنْ يُتَصَدّقَ بها عليه". والشاهد في هذه الرواية قوله: "وعليه دية مسلّمة إلى أهله"؛ إذ جاء التصريح بتقدير الخبر للمبتدأ ﴿دِيَةٌ﴾.

وأخرج أيضًا[6] بسنده الحسن[7] عنه رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: "فإن كان في أهل الحرب وهو مؤمن، فقتَله خطأً، فعلى قاتله أن يكفّر بتحرير رقبة مؤمنة..". والشاهد فيها قوله: "فعلى قاتله أن يكفّر بتحرير رقبة مؤمنة".

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن ٣٨٠/١، والدر المصون ٧١/٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٨٢/١، وللأخفش ٢٦٤، وإعراب القرآن للنحاس ٤٨٠/١، ومشكل إعراب القرآن ٢٠٥/١-٢٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٤.

(٣) معاني القرآن ٢٨٢/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣١٢/٧.

(٥) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٩٠/٢، وتحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص ٣٥٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٣١٧/٧.

(٧) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٩٠/٢، وتحقيق المرويّ عن عبدالله بن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص ٣٥٦.

وأخرج أيضًا[1] بسنده الحسن[2] عنه رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: "يقول: إذا كان كافرًا في ذمّتكم فقُتِل فعلى قاتله الديةُ مسلّمةً إلى أهله، وتحريرُ رقبة مؤمنة، أو صيامُ شهرين متتابعين". والشاهد فيها قوله: "فعلى قاتله الديةُ".

فابن عباس رضي الله عنهما فسّر المعنى في هذه الروايات بما يوافق تقدير الإعراب الذي عليه أكثر المعربين، مما يجعل الرواية عنه مقوّيةً لهذا الوجه من الإعراب.

والقول في التقدير الإعرابي لقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ يصدق كما ظهر من الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما على بقية الكلمات الثلاث المماثلة لها في الآية، وهي كلمة ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ الثانية، وكلمة ﴿فَدِيَةٌ﴾، وكلمة ﴿فَصِيَامُ﴾.

وبهذا فسر المعنى بعض أهل التفسير، وبه قدر الإعرابَ بعض المعربين:

فأما المفسرون فمنهم الطبري، الذي قال في تفسير ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الأولى[3]: "يقول: فعَليه تحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ من ماله"، وقال في تفسير ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الثانية[4]: "فإذا قَتَل المسلمُ خطأً رجلاً من عِداد المشركين، والمقتولُ مؤمنٌ، والقاتل يحسبُ أنّه على كُفره، فعَليه تحرير رقبة مؤمنة"، وقال في تفسير ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾[5]: "يقول: فعَلى قاتله ديةٌ مسلّمة إلى أهله، يتحمّلها عاقلته".

وأما المعربون فمنهم الأخفش، الذي قال[6]: "وقال: ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، وقال: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أيْ: فعَليه ذلك". ومنهم النحاس، الذي قال في إعراب ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الأولى[7]: "أي: فعَليه تحريرُ رقبة"، وقال في إعراب ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣١٨.

(٢) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٢/ ٩٠، وتحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، ص ٣٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٧/ ٣٠٥.

(٤) السابق ٧/ ٣١٤.

(٥) السابق ٧/ ٣١٨.

(٦) معاني القرآن ١/ ٢٦٤.

(٧) إعراب القرآن ١/ ٤٨٠.

الثانية[1]: " أي: فعَلى القاتل تحريرُ رقبة". وقال في إعراب ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾[2]: "أي: فعَليه صيامُ شهرين متتابعين".

٦. قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠]

اشتهر بين معربي القرآن[3] وجهان من الإعراب في توجيه النصب في ﴿فَرِيقًا﴾ الأولى و﴿فَرِيقًا﴾ الثانية في الآية ، هما:

الوجه الأول: أنّ ﴿فَرِيقًا﴾ الأولى مفعول به مقدَم للفعل ﴿هَدَى﴾، و﴿فَرِيقًا﴾ الثانية مفعول به لفعل محذوف يفسّره الفعل في ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ بعده، والتقدير: كما بدأكم تعودون، هدى فريقًا، وأضَلّ فريقًا حقّ عليهم الضلالة.

وذهب إلى هذا الوجه سيبويه[4] وأبو عبيدة[5] والزجاج[6] والنحاس[7]،واختاره الطبري[8].

ومن المعربين[9] من أضاف إلى هذا الوجه الإشارةَ إلى إعراب الجملتين الفعليتين: (هدى فريقًا وأضلّ فريقًا)، فذكر أنّهما إما في محل النصب على الحال من فاعل ﴿بَدَأَكُمْ﴾ وهو الله تعالى، على تقدير (قد)، والتقدير: كما بدأكم اللهُ هاديًا فريقًا ومُضِلاً فريقًا آخر

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق ٤٨١/١. وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٤.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٣٧٦/١، وإيضاح الوقف والابتداء ٦٥٣-٦٥٤، ومشكل إعراب القرآن ٣١١/١، وأمالي ابن الشجري ٨٦/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٩٥، والتبيان في إعراب القرآن ٥٦٣-٥٦٤، والبحر المحيط ٢٩٠/٤، والدر المصون ٢٩٩/٥-٣٠٠.

(٤) انظر: الكتاب ٨٩/١.

(٥) انظر: مجاز القرآن ٢١٣/١.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٣١/٢.

(٧) انظر: إعراب القرآن ١٢٢/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١٤٨/١٠.

(٩) انظر: الدر المصون ٣٠٠/٥.

تعودون، وعلى هذا يكون الوقف على ﴿الضَّلَالَةُ﴾، وإما أنهما جملتان مستأنفتان، ويكون الوقف على ﴿تَعُودُونَ﴾.

الوجه الثاني: أنّ ﴿فَرِيقًا﴾ الأولى منصوبة على الحال من فاعل ﴿تَعُودُونَ﴾، و﴿فَرِيقًا﴾ الثانية معطوفة عليها، والتقدير: كما بدأ الله تعالى خلقكم تعودون فريقًا مهديًا وفريقًا حاقًا عليه الضلالة، وتكون الجملتان الفعليتان ﴿هَدَى﴾ و﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ في محل النصب على النعت لـ﴿فَرِيقًا﴾ و﴿فَرِيقًا﴾، مع تقدير الرابط في جملة النعت الأولى، والتقدير: فريقًا هداه، أو هداهم، و(هداهم) أولى لمناسبتها للثانية: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾، ويكون على هذا الوجه الوقفُ على ﴿الضَّلَالَةُ﴾.

وهذا الرأي منسوب للكسائي والفراء[1] وابن الأنباري[2]، وهو اختيار الفراء فيما يظهر من كلامه في الآية، لأنه بدأ به فقال[3]: "ونُصب الفريق بـ﴿تَعُودُونَ﴾"، وأيّده بقراءة أبي بن كعب: ﴿تعودون فريقين فريقًا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة﴾، ثم ذكر الوجه الآخر ثانيًا بصيغة يُفهم منها التضعيف له فقال: "وقد يكون الفريق منصوبًا بوقوع ﴿هَدَى﴾ عليه"[4].

وتضيف الدراسة دليلاً يعضد هذا الرأي، وهو موافقته للمنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية، فقد أخرج الطبري[5] بسند صحيح[6] أو حسن[7] عن ابن عباس

---

(١) انظر: إعراب القرآن ١٢٢/٢، وتفسير القرطبي ١٩٠/٩.

(٢) انظر: الدر المصون ٣٠٠/٥. وفي كلام ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٦٥٣-٦٥٤ ما قد يُفهم منه أنّه يختاره.

(٣) معاني القرآن ٣٧٦/١. وانظر: مشكل إعراب القرآن ٢٨٧/١-٢٨٨.

(٤) نسب السمين الحلبي في الدر المصون (٣٠٠/٥) إلى الفراء أنه ذهب إلى الوجه الأول، وأظن السمين نظر إلى كلام الفراء عن الآية في هذا الموضع وفي مواضع أخرى من كتابه، لأنّ الفراء مثّل بهذه الآية على النصب على الاشتغال في أربعة مواضع من المعاني (٢٤٠/١، ١٨/٢، ١٣٢، ٢١٤)، ولكنّ ذكره لها في تلك المواضع لا يخرج فيما يظهر عن كونه يجيز فيها الوجه الأول، وكلامه هنا يُفهم أنّه يجيز الوجهين، ويميل إلى الوجه الثاني.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٤٢/١٠.

(٦) انظر في تصحيح السند: المفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الأعراف والأنفال والتوبة، ص ١٢٤.

(٧) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٣١٠/٢، وتفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ٤١٩.

رضي الله عنهما أنه قال في تفسيرها: "قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابنِ آدم مؤمنًا وكافرًا، كما قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم، مؤمنًا وكافرًا".

فقوله: "ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم، مؤمنًا وكافرًا" يوافق في معناه التقدير الإعرابي في الوجه الثاني، وهو: كما بدأ خلقَكم تعودون فريقًا مهديًا وفريقًا حاقًا عليه الضلالة.

٧. قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]

ذكر عددٌ من معربي القرآن[1] عدةَ أقوال في نوع ﴿ما﴾ وإعرابها في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، ومِن أشهر تلك الأقوال ما يأتي:

القول الأول: أنها مصدرية ظرفية، في محل النصب بالفعل ﴿يُضَاعَفُ﴾، والمعنى: يضاعفُ لهم العذاب في النار مدةَ كونهم يستطيعون السمع، ومدةَ كونهم يبصرون. وهذا يعني دوام مضاعفة العذاب لهم.

القول الثاني: أنّها مصدرية منصوبة المحل بإسقاط حرف الجر، والجارُ والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُضَاعَفُ﴾، والتقدير: يضاعفُ لهم العذاب بكونهم يستطيعون السمع وكونهم يبصرون ولا ينتفعون بذلك.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٨/٢، و تفسير الطبري ٣٧٠/١٢-٣٧٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢، ومشكل إعراب القرآن ٣٥٧/١، والبيان في غريب إعراب القرآن ١٠/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٦٩٣/٢، والبحر المحيط ٢١٣/٥، والدر المصون ٣٠٢/٦، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٠/٣-٢٢.

وهذا الرأي منسوب للفراء[1]، وهو المرجّح عنده[2] فيما يظهر، وذلك أنّه جعله أحدّ الوجهين الجائزين، وابتدأ به نقلاً عن المفسّرين، واستدلّ على أنّ حرف الجر مقدّر في الآية بظهوره في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. وبظهور حرف الجر مرّةً في نحو قول الله تعالى: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦، ٩٧، والزمر: ٣٥]، وتقديره مرّةً في نحو قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]، وبأنه يقال في الكلام: لأجزينّك بما عملتَ، ولأجزينّك ما عملتَ. ثم ذكر الرأي الآخر وهو الرأي الرابع هنا بصيغة (ويقال) مما يُفهم منه أنّه يرجح ما ابتدأ به.

ورَدّ هذا الرأيَ أبو حيان بقوله[3]: "وهذا فيه بُعدٌ في اللفظ وفي المعنى".

الوجه الثالث: أنها موصولة منصوبة المحل بإسقاط حرف الجر أيضًا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُضَاعَفُ﴾، والتقدير: يضاعف لهم العذاب بالذي كانوا يستطيعون السمع والذي كانوا يبصرون من غير أن ينتفعوا بذلك. وفي هذا الرأي قال السمين الحلبي[4]: "وفيه بُعْدٌ لأنَّ حذفَ الحرفِ لا يَطَّرد".

وعلى الآراء الثلاثة السابقة لا يحسن الوقف على ﴿الْعَذَابُ﴾. ﴿مَا كَانُوا﴾.

الوجه الرابع: أنّها نافية، وأنّ المعنى: لم يكونوا في الدنيا يستطيعون أن يسمعوا الحقَ سماعَ انتفاعٍ، ولم يكونوا يبصرونه إبصارَ المهتدي إليه، وإنْ كانوا ذوي أسماع وأبصار محسوسة؛ وذلك بسبب الختم الذي ختم الله به على قلوبهم وأسماعهم،

---

(١) انظر: البحر المحيط ٥/٢١٣، والدر المصون ٦/٣٠٢، ونسبه الطبري في تفسيره ١٢/٣٧٢ لبعض أهل العربية، ويقصد به الفراء؛ لأنه نقل كلامه في الآية وما استدلّ به.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٨.

(٣) البحر المحيط ٥/٢١٣.

(٤) الدر المصون ٦/٣٠٢.

والغشاوة التي جعلها على أبصارهم، فحال بذلك بينهم وبين طاعته، جزاءَ مبادرتهم بالكفر وانشغالِهم به وإنكارِ الحق باختيارهم ومشيئتهم[1].

وعلى هذا الرأي يحسن الوقف على ﴿الْعَذَابُ﴾، والابتداء بالنفي:

والقول الأخير أجازه عددٌ من معربي القرآن[2]، واقتصر الزجاج[3] على ذكر معناه فقال: "أيْ: من شِدّة كفرهم وعداوتهم للنبي لا يستطيعون أن يسمعوا ما يقول"، واختاره الطبري[4].

وهو الرأي الذي يعضده تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج الطبري[5] بسنده الحسن[6] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾: "أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فإنّه قال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾، وهي طاعته ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، وأما في الآخرة ، فإنه قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]".

وواضحٌ من قول ابن عباس رضي الله عنهما أنه يذهب إلى أنّ ﴿ما﴾ في الآية نافية، وأنهم لم يكونوا في الدنيا يستطيعون السمع ولم يكونوا يبصرون بسبب ما حال الله به بينهم وبين طاعته.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢/٣٧٠-٣٧٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦، والبحر المحيط ٥/٢١٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٢٠-٢٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/١٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٦٩٣، والبحر المحيط ٥/٢١٣، والدر المصون ٦/٣٠٢.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٢/٣٧٢.

(٥) السابق ١٢/٣٧١.

(٦) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٣/٤٩، وتحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ٥٥٧.

٨. قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]

تعدّدت آراء معربي القرآن في نوع ﴿إِنْ﴾ في الآية، وفي معنى الجملة بعدها، وأشهر ما قيل فيها[١] مايأتي:

الرأي الأول: أنها نافية، واللام التي في ﴿لِتَزُولَ﴾ لام الجحود، والمعنى: وما كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال، أي إنّ مكرهم لم تكن لتزول منه معالم النبوّة وشرائع الدين التي كالجبال في ثباتها وقوّتها، وهذا يعني التحقير والتقليل من مكرهم مهما بلغت قوته وعظمت أدواته.

وإلى هذا المعنى والإعراب في الآية ذهب جمهور المعربين[٢].

واستدلّ الفراء[٣] على معنى النفي في الآية بقراءة عبدالله بن مسعود: ﴿وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

ويجدر التنبيه هنا إلى أنّ الطبري[٤] روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية: "يقول: ما كان مكرُهم لِتزولَ منه الجبال"، لكنّ هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ضعيفة[٥]، لا تنهض لتكون حجّةً لهذا القول.

---

(١) انظر: اللامات للزجاجي ١٦٠، والتبيان في إعراب القرآن ٧٧٤/٢، والبحر المحيط ٤٢٦/٥، والدر المصون ١٢٦/٧، والمغني ١٦٦/٣.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٧٩/٢، ومجاز القرآن ٣٤٥/١، وتفسير الطبري ٧٢٣/١٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٦/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٧٢/٢، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٣٣٧/١، والحجة للفارسي ٣١/٥، ومشكل إعراب القرآن ٤٠٧/١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي ٢٨/٢، وكشف المشكلات ٦٥١، والمحرر الوجيز ١١٣/٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ٦١/٢.

(٣) انظر: معاني القرآن ٧٩/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٧٢٥/١٣.

(٥) انظر في تضعيف الرواية: تحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ١٤٥٢.

وقد تتابع على تضعيف هذا الرأي عددٌ من العلماء، فضعّفه الزجاجي[1] بأنّ لام الجحود لا تكون بعد المنفي بـ (إنْ)، وإنمّا تكون بعد (ما) أو (لم).

لكن هذا التضعيف مدفوعٌ عند المرادي بأنّ تقييد دخول اللام بعد (ما) أو (لم) دون (إنْ) محلُّ خلاف بين أهل العربية، قال المرادي في لام الجحود[2]: "قيل: ولا يكون قبلها من حروف النفي إلا (ما) و(لم) دون غيرهما، قلت: الظاهر مساواة (إنْ) النافية لهما في ذلك"، ثم ذكر الآية محلّ النظر هذه.

ثمّ ضعّفه أبو حيان بمعارضته ما في القراءات الأخرى من معنى تعظيم مكرهم، فقال[3]: "لكنّ هذا التأويل وما روي عن ابن مسعود من قراءة ﴿وَمَا﴾ بالنفي يعارضُ ما تقدّم من القراءات؛ لأنّ فيها تعظيمَ مكرهم، وفي هذا تحقيره". ويقصد أبو حيان بالقراءات ما ذكره من قراءة الكسائي[4]: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بفتح اللام الأولى في﴿لتَزُول﴾ وضم الثانية، والقراءة المنسوبة إلى عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم وغيرهم[5]: ﴿وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

وضعّفه بعدهما ابنُ هشام[6] من جهة صناعية ومعنوية أخرى، هي اختلاف فاعلي ﴿كَانَ﴾ الناقصة و﴿تَزُولَ﴾.

الرأي الثاني: أنّها مخفّفة من الثقيلة، واللام التي في ﴿لِتَزُولَ﴾ لام (كَيْ)، والمعنى: وإنّه كان مكرهم معدًّا ليُزيلوا به ما هو كالجبال في الثبات والقوة، لكنّ هذا المكر باطل.

وإلى هذا المعنى والإعراب ذهب الزجاجي[1].

---

(١) انظر: اللامات للزجاجي ١٦٠.

(٢) الجنى الداني ١١٦، وانظر: توضيح المقاصد ٤/ ١٢٤٤.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٤٢٦.

(٤) انظر: السبعة ٣٦٣، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣١.

(٥) انظر: المحتسب ١/ ٣٦٥.

(٦) انظر: المغني ٣/ ١٦٦.

الرأي الثالث: أنّها شرطية، واللام التي في ﴿لِتَزُولَ﴾ لام (كَيْ)، والمعنى: ومكرُ الله أعظمُ من مكرهم، وإنْ كان مكرُهم عظيمًا معدًّا ليزيلوا به ما هو كالجبال في الثبات والقوة، وهذا يعني التعظيم والتهويل من مكرهم، وهو كما يقول المرء: أنا أسرع من فلان، وإن كان آيةً في السرعة لا يُشقُّ له غبار.

وإلى هذا المعنى والإعراب ذهب الزمخشري وابن هشام. قال الزمخشري[٢]: "﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضُرِب زوالُ الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته، أي: وإنْ كان مكرُهم مسوى لإزالة الجبال، مُعدًّا لذلك". وقال ابن هشام بعدما ذكر ضعفَ الرأي الأول[٣]: "والذي يظهر لي أنّها لام (كَيْ) وأنّ ﴿إِنْ﴾ شرطية، أي: وعند الله جزاء مكرهم، وهو مكرٌ أعظم منه، وإن كان مكرهم لشدّته مُعدًّا لأجل زوال الأمور العظام المشبّهة في عظمها بالجبال، كما تقول: أنا أشجع من فلان وإن كان معدًّا للنوازل".

وتتلمّس الدراسة هنا دليلاً من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يتقوّى به معنى الشرط في الآية، وأنّ المراد تعظيم مكرهم، فقد روى الطبري[٤] بسند حسن[٥] أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يقول: شِركُهم، كقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]". فالتنظير في قول ابن عباس رضي الله عنهما بالآية في سورة مريم يقوّي معنى التعظيمِ لمكرهم والتهويلِ من شأنه، وهو

---

(١) انظر: اللامات للزجاجي ١٦٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٢. ونقل أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٤٢٦، والسمينُ الحلبي في الدر المصون ٧/ ١٢٦، عبارتَه وعبارةَ ابن عطية في تفسير الآية في المحرر الوجيز ٤/ ١١٣، وحملاهما على معنى المخفّفة من الثقيلة، والظاهر أن عبارتيهما أقرب إلى معنى الشرط منهما إلى معنى المخفّفة.

(٣) المغني ٣/ ١٦٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٧٢٥.

(٥) انظر في تحسين السند: تحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ١٤٥٢.

المعنى الموافق للقول بأن ﴿إِنْ﴾ في الآية شرطية. وهو فيما يبدو الموافق لظاهر معنى الآية، المتناسب مع مساقها.

٩. قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يٰإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦].

ذكر عدد من معربي القرآن[١] ثلاثة أوجه في نصب ﴿مَلِيًّا﴾، هي:

الوجه الأول: النصب على الظرفية الزمانية، والمعنى: واهجرني زمنًا طويلاً، و﴿مَلِيًّا﴾ من الملاوَة ـ مثلثة الميم ـ وهي الدهر الطويل، والملَوان: الليلُ والنهار.

ونُسب هذا القول للكسائي[٢]، وإليه ذهب الفراء، وابن قتيبة[٣]، وغيرهما[٤]. قال الفراء[٥]: "وقوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: طويلاً، يقال: كنت عنده مَلْوَةً ومُلْوَةً ومِلْوَةً ومُلاوَةً من دهرٍ، وهُذيل تقول: مِلاوَة، وبعض العرب: مَلاوَةً. وكلّه من الطول".

الوجه الثاني: النصب على النعت لمصدر محذوف، أي: واهجرني هَجْراً مَلِيًّا، يعني: واسعًا متطاولاً كتطاول الزمان الممتد.

الوجه الثالث: النصب على الحال من فاعل ﴿اهْجُرْنِي﴾، وهو إبراهيم عليه السلام، والمعنى: واهجرني حال كونك سالماً سويًّا قبل أن يصيبَك مني عقوبة، أو يمسَّك مني أذى. من قول الناس: فلان مَلِيٌّ بهذا الأمر: إذا كان مضطَلِعًا به غنيًّا منه.

واختار هذا الرأيَ الطبري، وقوّاه بالجملة السابقة في الآية، فقال[٦]: "قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية عندي قولُ من قال: معنى ذلك: واهجرني سويًا سلِماً من

---

(١) انظر: الكشاف ٤/ ٢٥، والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٧٦، والبحر المحيط ٦/ ١٨٣-١٨٤، والدر المصون ٧/ ٦٠٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٥٨.

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/ ٣٣٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٥٨.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن ٢٧٤.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٦/ ٣٨، والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٧٦.

(٥) معاني القرآن ٢/ ١٦٧.

(٦) تفسير الطبري ١٥/ ٥٥٥.

عقوبتي؛ لأنه عقيب قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، وذلك وعيد منه له إنْ لم ينتهِ عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيىء، والذي هو أولى بأن يُتبِع ذلك التقدّمُ إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هَجره فلا وجهَ له".

وهذا الرأي القائل بالنصب على الحال يتقوّى بموافقة معناه لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى الطبري[1] بسنده الحسن[2] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: "يقول: اجتنبني سَوِيًّا".

وهذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما يوافق في لفظه ومعناه من ينصب ﴿مَلِيًّا﴾ على الحال من إبراهيم عليه السلام.

١٠. قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧١-٧٢].

تنظر هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ من جهة أنّ الفعل ﴿رَدِفَ﴾ فعلٌ متعدٍّ بنفسه بمعنى تَبِعَ ولَحِقَ، فكيف دخلت اللام في ﴿لَكُم﴾ على المفعول به؟

وقد ذكر بعض معربي القرآن في توجيه ذلك عدة آراء[3]، وصلت عند بعضهم إلى ستة آراء[4]، من أبرزها ما يأتي:

الرأي الأول: أنّ ﴿رَدِفَ﴾ متعدٍّ لمفعول محذوف، واللام التي في ﴿لَكُم﴾ لام التعليل، والمعنى: رَدِف بعضُ الذي تستعجلون الخلقَ لأجلكم ولشؤمكم. قال أبو حيان[5]: "وهذا ضعيف"، ولم يبيّن وجه الضعف، وأظنه بسبب بعده عن المعنى الظاهر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥/٥٥٤.

(٢) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٣/٣٤٠، وتحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، ص ٢١٠٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٨/١١٤، والكشاف ٢/٥٥٨، ٤/٤٧٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٠١٣، والجنى الداني ١٠٧.

(٤) انظر: البحر المحيط ٧/٩٠، والدر المصون ٨/٦٣٩.

(٥) البحر المحيط ٧/٩٠.

الرأي الثاني: أنّ فاعل ﴿رَدِفَ﴾ ضمير يعود إلى ﴿الْوَعْدُ﴾، وبه تتمّ الجملة، وأنّ ﴿لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾، جملة جديدة مكوّنة من الخبر المقدّم ﴿لَكُم﴾ والمبتدأ المؤخر ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾. قال أبو حيان[1]: "وهذا فيه تفكيك للكلام، وخروج عن الظاهر لغير حاجة تدعو إلى ذلك".

الرأي الثالث: أنّ اللام في ﴿لَكُم﴾ زائدة، والمعنى: قل: عسى أن يكون ردفَكم بعضُ الذي تستعجلون. وإلى هذا الرأي ذهب أكثر المعربين[2].

الرأي الرابع: أنَّ الفعل ﴿رَدِفَ﴾ ضُمِّن معنى فِعْلٍ يتعدَّى باللامِ، أي: دنا أو قَرُب أو أزِفَ لكم بعض الذي تستعجلون.

وهذا الرأي هو المرجّح عند الفراء فيما يظهر من كلامه؛ لأنّه ذكر في تفسير الآية هذا الرأيَ والرأيَ الثالث مبتدئًا بهذا الرأي ومستشهدًا له ببيت من الشعر، فقال[3]: "﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ جاء في التفسير: دنا لكم بعضُ الذي تستعجلون، فكأنّ اللامَ دخلت إذْ كان المعنى: دنا،كما قال الشاعر:

فقلتُ لها الحاجاتُ يَطْرَحْنَ بالفتى وهَمٌّ تَعَنّاني مُعنًّى ركائبُه

فأدخل الباء في (الفتى)؛ لأنّ معنى (يطرحن): يرمين، وأنت تقول: رميت بالشيء وطرحته"، ثم قال: "وتكون اللام داخلةً، والمعنى: رَدِفَكم، كما قال بعضُ العرب: نقدتُ لها مئة، وهو يريد: نقدتها مئة"[4].

---

(١) السابق نفسه.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش ٤٦٧/٢، وتفسير غريب القرآن ٣٢٦، والمقتضب ٣٦/٢، والكامل للمبرد ٤٠٥/١، ١٠٠٠/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٨/٤، واللامات للزجاجي ١٤٧، ومجالس العلماء له ٨٣، وأماليه ٢٣٥، ومشكل إعراب القرآن ٥٢٩/٢، والمفصل ٢٩١، وشرح الكافية للرضي ق٢: ٨٦٣/٢، ٨٩٢، ٩٦٧، ٩٦٨، ١١٧٠، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٧/٢، ورصف المباني ٢٤٦.

(٣) معاني القرآن ٢٩٩/٢.

(٤) ذكر الطبري في تفسيره (١١٤/١٨) هذا القول منسوبًا لبعض نحويي الكوفة، ويقصد به الفراء؛ لأنه نقل كلامه هذا وبيتَ الشعر الذي استشهد به، ونسبه للفراء صراحةً القرطبيُ في تفسيره ٢٠٣/١٦. وهذا يقوّي أنّ الفراء يرجّح هذا الرأي، وإن كان الفراء قد ذكر في ثلاثة مواضع من المعاني (٢٢٢/١، ٧٨/٢،

واختار هذا الرأي الطبريُ[1]،وجعله السمينُ الحلبي[2] أظهرَ الأقوالِ الستة التي ذكرها، واختاره أيضًا ابنُ هشام[3]، وجعله مثلَ قول الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

وهذا الرأي الأخير تعضُده الدراسةُ بدليل يتقوّي به، وهو موافقته لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج البخاري في صحيحه[4]، والطبري[5] بسنده الحسن[6] أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: "يقول: اقترب لكم".

فهذا التفسير منه رضي الله عنه يتفّق من جهة المعنى مع رأي مَن يذهب إلى القول بالتضمين.

١١. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]

أجاز بعض معربي القرآن[7] في جملة ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وجهين من الإعراب:

أحدهما: أنّ ﴿الْعَمَلُ﴾ معطوف على ﴿الْكَلِمُ﴾ عطفَ مفرد على مفرد، وبه تتم الجملة، والمعنى: إليه يصعد الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ، ثم يُبتدأ بالفعل ﴿يَرْفَعُهُ﴾ على الاستئناف، وفاعله الله تعالى، والتقدير: يرفعهما الله، ثم ذكر من أجاز هذا الوجه أنّه وُحّد

٢١٨/٢) هذه الآية مثالاً على زيادة حرف الجر، ولكنّ ذكرَه لها في تلك المواضع لا يخرج فيما يظهر عن كونه يجيز فيها الرأي الثالث، وكلامه هنا يُفهم أنّه يجيز الوجهين، ويميل إلى الوجه الرابع.

(١) انظر:تفسير الطبري ١١٤/١٨.

(٢) انظر: الدر المصون ٦٣٩/٨.

(٣) انظر: المغني ١٨٤/٣.

(٤) كتاب التفسير، في ترجمة سورة النمل، ٢٠/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١١٣/١٨.

(٦) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٣٤/٤، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العنكبوت، ص ٥٧٧.

(٧) انظر: البحر المحيط ٢٩٠/٧، والدر المصون ٢١٧/٩.

الضمير في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ وإن كان المراد الكلمَ والعملَ ذهابًا بالضمير مذهب اسم الإشارة في نحو قوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أو لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود.

الوجه الآخر: أنّ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ جملةٌ اسميةٌ مكونّةٌ من المبتدأ وهو﴿الْعَمَلُ﴾، والخبر وهو جملة ﴿يَرْفَعُهُ﴾. وهذا الوجه هو المشهور، وهو ما عليه الكثرة الغالبة من المعربين، لكنهم اختلفوا في مرجع الضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ على ثلاثة آراء[1]، هي على النحو الآتي:

الرأي الأول: أنّه يرجع إلى الله تعالى، والمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله تعالى إليه. ورجّح هذا الرأي ابن عطية[2].

الرأي الثاني: أنه يرجع إلى ﴿الْكَلِمُ﴾، والمعنى: والعمل الصالح يرفعه الكلمُ الطيب. وأجاز هذا الرأيَ ابنُ عطية[3] على تأويل ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله؛ لأنه لا يُرفَع عملٌ إلا بتوحيد. واعترض بعضُ المعربين[4] هذا الرأيَ بأنّه لو كان هذا المعنى مرادًا لكان الأرجحُ نصبَ ﴿وَالْعَمَلَ الصَّالِحُ﴾؛ لأنّ جملة الاشتغال هذه معطوفة على جملة فعلية، وهي ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾.

الرأي الثالث: أنّه يرجع إلى ﴿الْعَمَلُ﴾، والهاء في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ عائدة إلى ﴿الْكَلِمُ﴾، والمعنى: والعملُ الصالحُ يرفعُ الكلمَ الطيبَ، وعلى هذا الرأي أكثر المعربين[5]، قال الفراء[6]:"وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي: يرفع الكلمَ الطيّب، يقول: يُتقبّل الكلامُ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٦٥، وكشف المشكلات ١١٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٧٣، والبحر المحيط ٧/ ٢٩٠، والدر المصون ٩/ ٢١٧.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٧/ ٢٠٦.

(٣) السابق نفسه.

(٤) انظر: كشف المشكلات ١١٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، و تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٦٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٤، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٩٤، وكشف المشكلات ١١٠٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٧٣.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٦٧.

الطيّب إذا كان معه عملٌ صالحٌ". وقال الزجاج[1]: "المعنى فيه ههنا: العملُ الصالحُ هو الذي يرفع ذكرَ التوحيد حتى يكون مُثَبِّتًا للمُوَحِّدِ حقيقةَ التوحيد".

وهذا الرأي يعضده تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى الطبري[2] بسند صحيح[3]، أو حسن[4] أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: "قَالَ: الكلامُ الطَّيِّبُ ذِكرُ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ أداءُ فَرَائضِه، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ سُبْحانه فِي أداءِ فَرَائضِه حمَلَ عَملُه ذِكْرَ اللَّهِ فَصَعدَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يُؤدِّ فَرائضَه رُدَّ كَلَامُه عَلَى عَمَلِه، فَكان أولَى به".

وهذا التأويل من ابن عباس رضي الله عنهما ظاهر في أنّ العمل الصالح هو الذي يحمل ذكرَ الله تعالى، فيصعد به إلى الله تعالى، وهو ما عليه أكثر المعربين.

بقيت هنا الإشارة إلى أن السمين الحلبي[5] أجاز في هذا الرأي الثالث أن تعود الهاء في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ إلى صاحب العمل الصالح، والمعنى: والعملُ الصالحُ يرفعُ صاحبَه.

وفي هذا الرأي فيما يظهر بُعدٌ، لعدم ورود ذكرٍ لصاحب العمل يدل على إعادة الضمير إليه، ولأنّ في هذا التقدير غرابةً ولَبسًا في الفهم.

١٢. قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

الجار والمجرور في الآية ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منصوبٌ على الحالية، وأجاز بعض معربي القرآن[6] في صاحب الحال وجهين، هما:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٣٣٩.
(٣) انظر في تصحيح السند: تحقيق المرويّ عن ابن عباس من سورة الروم إلى سورة الشورى، ص ٢٨٣.
(٤) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/ ١٦٧.
(٥) انظر: الدر المصون ٩/ ٢١٨.
(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧–١٤٨، والكشاف ٥/ ٤٨٧، والمحرر الوجيز ٧/ ٦٠٠، والبحر المحيط ٨/ ٤٩، والدر المصون ٩/ ٦٥٢.

الوجه الأول: أن يكون حالاً من الضمير المفعول في ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾، والمعنى: وأضلّ اللّهُ الكافرَ عالماً بضلاله، جاحدًا معانداً، وهذا كقول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

الوجه الثاني: أن يكون حالاً من الفاعل في ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾، والمعنى: وأضلّه الله على علم من الله بضلاله.

وذهب إلى هذا الرأي ثعلب والطبري والزجاج، قال ثعلب[١]: "أي: فأضلّه الله على علمٍ من الله"، وقال الطبري[٢]: "يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه، على علمٍ منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كلُّ آية"، وقال الزجاج[٣]: "أي: على ما سبق في علمه قبل أنْ يخلُقَه أنّه ضال".

ويتقوى هذا الرأي بموافقته لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى الطبري[٤] وابن أبي حاتم[٥] بسند حسن[٦] أنّه رضي الله عنه قال في تفسير الآية : "﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يقول: أضلّه في سابق علمه".

فقوله رضي الله عنه: "أضلّه في سابق علمِه" يُقوّي معنى القول بأن صاحب الحال هو الله تعالى، أي: أضلّه الله تعالى على علمٍ من الله تعالى في سابق علمه أنّه ضال لا ينتفع بهدًى.

١٣. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ [الأحقاف: ٢٦].

---

(١) مجالس ثعلب ٥٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٩٣، وانظر: ١/ ١٩٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣٣.

(٤) انظر:تفسير الطبري ٢١/ ٩٤.

(٥) انظر:تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٠٠، ١٠/ ٣٢٩١.

(٦) انظر في تحسين السند عندهما: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/ ٣٢٥، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، ص ١٧٩.

تعدّدت في كتب إعراب القرآن الأقوال في معنى الحرف ﴿إنْ﴾ في الآية، وذلك على التفصيل الآتي:

الأول: منهم من نقل القول بأنها زائدة، وأن المعنى: ولقد مكّناهم في الذي مكّناكم فيه، أي إنّ الله تعالى مكّن المخاطبين في مثل الذي مكّن منه الأولين[1].

الثاني: منهم من نقل القول بأنها الشرطية، وأن جوابها محذوف، والتقدير: ولقد مكّناهم في الذي إنْ مكّناكم فيه طغيتم وبغيتم[2].

الثالث: منهم من جعلها بمعنى (قد)، والمعنى: ولقد مكّناهم في الذي قد مكّناكم فيه[3].

الرابع: ذهب جمهورهم[4] إلى أنها النافية، وأنّ المعنى: ولقد مكّناهم في الذي ما مكّناكم فيه، أي أنّ الله يخبر أنه مكّن الأوّلين في القوّة والبسطة وسعة الأرزاق ما لم يمكّن المخاطَبين منه. وإنّما عُدل عن لفظِ (ما) النافية إلى (إنْ) كراهيةَ اجتماعِ متماثلَيْن لفظًا.

وقد قوّى بعض المعربين أنّها النافية بالدليل القرآني، وذلك من جهتين:

إحداهما: مماثلةُ لفظِ هذه الآية لآية أخرى جاء فيها النفي واضحًا ظاهرًا[5]، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ٢٥١، وتفسير غريب القرآن ٤٠٨، ومجالس ثعلب ٢٦٧/١، والكشاف ٥٠٨/٥، وأمالي ابن الشجري ٤٧٦/٢، ١٤٤/٣، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٧٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن ١١٥٨/٢، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٩٩/٤.

(٢) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٩٩/٤، والبحر المحيط ٦٥/٨، والدر المصون ٦٧٦/٩.

(٣) انظر: أمالي ابن الشجري ٤٧٦/٢، والرأي فيه منسوب إلى قطرب.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٥٦/٣، وللأخفش ١١٩/١، وتفسير الطبري ١٦٠/٢١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٤٦/٤، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٠/٤، ومشكل إعراب القرآن ٦٦٨/٢، والكشاف ٥٠٨/٥، وأمالي ابن الشجري ٤٤٧/٢، ١٤٤/٣، والتبيان في إعراب القرآن ١١٥٨/٢، ومغني اللبيب ١٣٠/١.

(٥) انظر: كتاب الشعر ٨٨، وأمالي ابن الشجري ٤٤٧/٢، ١٤٤/٣، والمغني ١٣٠/١.

والأخرى: أنّ في القرآن آياتٍ كثيرة تدلّ معانيها على أن الأولين كانوا أكثر تمكينًا في الأرض من المخاطَبين، وأنهم كانوا أكثرَ منهم عددًا وأموالاً وأولادًا، وأشدَّ قوةً، وأحسنَ أثاثًا، وأنهم عَمَروها أكثر مما عَمَرها المخاطبون[1]، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارُواْ ٱلأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي ٱلأَرْضِ﴾[غافر: ٢١]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي ٱلأَرْضِ﴾[غافر: ٨٢].

ففي هذه الآيات وغيرها[2] يهدّد القرآنُ المخاطبين بأن الأمم الماضية كانت أشدَّ منهم بطشًا وقوة، وأكثرَ منهم عددًا وأموالاً وأولادًا، فلما كذّبوا الرسلَ أهلكهم الله؛ ليخاف المخاطبون من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم أن يهلكهم الله بسببه، كما أهلك الأمم التي هي أقوى منهم.

وهذه المعاني في الآيات تتفق مع المعنى الذي يفيده جعلُ ﴿إنْ﴾ في الآية نافيةً.

وتضيف الدراسة هنا دليلًا آخر يتقوّى به جعلُ ﴿إنْ﴾ في الآية نافيةً، وهو موافقته لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما لها، فقد روى الطبري[3] بسنده الحسن[4] أنّ ابن

---

(١) انظر: الكشاف ٥/ ٥٠٨، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٤/ ٢٩٩، والبحر المحيط ٨/ ٦٥، والدر المصون ٨/ ٦٧٦، وأضواء البيان ٧/ ٤٢٥.

(٢) كالتي في: سورة التوبة ٦٩، وفاطر ٤٤، وغافر ٢١، والزخرف ٨، ومحمد ١٣، وق ٣٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٦٠.

(٤) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/ ٣٣٤، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، ص ٢٠٤.

عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: "يقول: لم نُمَكِّنْكُم". وهذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما صريح في معنى النفي في الآية.

١٤. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]

اختلفت أقوال معربي القرآن[١] في فاعل ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ على رأيين، بيانهما على النحو الآتي:

الرأي الأول: أنّ الفاعل فيهما ضمير ﴿مَنْ﴾، وأنّ الضمير المؤنث المنصوب في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ يعود إلى النفس المذكورة سابقًا، والمعنى: قد أفلح الذي زكّى النفسَ، وقد خاب الذي دسّاها.

وذهب إلى هذا الرأي ابنُ قتيبة[٢] وأبو بكر بن الأنباري[٣]، ومكّي بن أبي طالب[٤]، وقواه الزمخشري[٥] بموافقة معناه لقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤] وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]، وجعله أبو حيان[٦] والسمينُ الحلبي[٧] الظاهرَ من معنى الآية.

الرأي الثاني: أن الفاعل فيهما ضمير يعود إلى الله تعالى، وتفسير المعنى لهذا الرأي: قد أفلح الذي زكّى الله نفسه، وقد خاب الذي دسّى الله نفسه، وتفسير الإعراب: أن يكون الضمير البارز في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ عائدًا على معنى التأنيث في ﴿مَنْ﴾، لأنّها

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/٥، والبحر المحيط ٤٧٥/٨، والدر المصون ٢١/١١.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ٣٤٤.

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٢٣.

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن ٨٢٠/٢.

(٥) انظر: الكشاف ٣٨٣/٦.

(٦) انظر: البحر المحيط ٤٧٥/٨.

(٧) انظر: الدر المصون ٢١/١١.

بمعنى النفس[1]، ولهذا قدّره الفراء بقوله[2]: "قد أفلحت نفس زكّاها اللّهُ، وقد خابت نفسٌ دسّاها".

وإلى معنى هذا الرأي ذهب الفراء[3] والطبري[4]، والزجّاج[5].

وذكر أبو حيان[6] أنّ هذا المعنى يشهد له أمران، أحدهما: ما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ في السورة قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: "اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا"[7]، والآخر: أنّ القائل بمعنى هذا التوجيه هو بحرُ العلم عبدُالله بن عباس رضي الله عنهما.

وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما الذي يعنيه أبو حيان هو قوله فيما رواه الطبري[8] بسنده الحسن[9] في تفسير ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾: "يقول:قد أفلح مَن زكّى الله نفسه"، وقوله في تفسير ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: "يقول: وقد خاب مَن دسّى الله نفسه فأضلّه".

* * *

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٣٦، والبحر المحيط ٨/٤٧٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢٦٧، وانظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣٢.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/٢٦٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٤/٤٤٣-٤٤٤.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٣٢.

(٦) انظر: البحر المحيط ٨/٤٧٥.

(٧) الدعاء المأثور جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب في الأدعية، رقم الحديث (٢٧٢٢)، والحديث بهذا الربط بين الآية والدعاء رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/١٠٦، رقم الحديث (١١١٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٩١، رقم الحديث (١١٤٩٥)، وقال: إسناده حسن.

(٨) انظر: تفسير الطبري ٢٤/٤٤٣،٤٤٤.

(٩) انظر في تحسين السند: التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/٦٣٨، وتحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس، ص ٧٧٠.

أثر تفسير ابن عباس في التوجيه الإعرابي للقرآن

إذا كان للتفسير المأثور عامة أثرٌ في التوجيه الإعرابي للقرآن الكريم فإنّ لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أثرًا أظهر؛ لكثرة المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، ولتلقي الأمة له بالقبول، فلا تكاد كتب التفسير وإعراب القرآن تخلو من مروياتٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أو عن أحد تلامذته، تُذكر ليُستدلّ بها على صحة تفسير الآية أو تقدير إعرابها.

والحديث عن أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في التوجيه الإعرابي للقرآن حديثٌ طويل، يحتاج إلى مقام أرحب من هذا المقام؛ يُبسط فيه القول، وينظر فيه إلي جميع ما ثبتت نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ويوازَن بما قرّره المعربون الأوائل للقرآن، وما اختاروه من آراء عند الاختلاف في الإعراب، مع الالتفات لأثر تفسيره أيضًا في صياغات عباراتهم عندما يبيّنون المعنى أو تقديرَ الكلام للإعراب المختار.

ويمكن في هذا المقام الموجز أن يُشار إلى ذلك بإلماحات تُوضِح الفكرة، وتكون كالمنْبَهَةِ لدراسةٍ تفصيلية استقصائية قائمة على الرصد ومحاولة الحصر للمسائل، ثم النظر في الأثر.

وسيكون عرض الأثر هنا في جانبين، الأول: عناية المعربين الأوائل بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، ويقصد بهم هنا الفراء والأخفش والزجاج والنحاس، والثاني: الموافقة والمخالفة بين تفسيره ومعنى الإعراب المختار، وهذا الثاني سيكون النظر فيه من خلال المسائل المذكورة في القسم التطبيقي من هذه الدراسة.

أولاً: عناية المعربين الأوائل بتفسير ابن عباس :

يجد الناظر في كتب معاني القرآن وإعرابه عند الفراء والأخفش والزجاج والنحاس اختلافًا ظاهرًا بين هؤلاء العلماء في عنايتهم بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وفي النظر إليه عند تحديد الوجه الإعرابي للآية.

ويظهر هذا الاختلاف بينهم من خلال عدد المرات التي يذكر فيها تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في الكتاب.

فالفراء كانت له عناية جيدة بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، تمثلت هذه العناية بكثرة الرواية عنه في كتابه (معاني القرآن)، فقد كشفت لنا محركات البحث الآلي في الموسوعات العلمية[1] النقلَ عن ابن عباس رضي الله عنهما في المعاني في ستة وسبعين موضعًا[2]، كما كان للفراء أكثر من إسناد يصله بابن عباس رضي الله عنهما.

أمّا الأخفش فلم تكن له في (معاني القرآن) عناية ظاهرة بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وأمارة ذلك أنّه لم يرد ذكرٌ لابن عباس رضي الله عنهما في المعاني باسمه الصريح سوى مرة واحدة[3]، وورد في موضع آخر نقلُ تفسيرٍ لابن عباس رضي الله عنهما دون التصريح باسمه، بل جاء بصيغة (زعموا)[4]، ولا يظهر أن هذه القلة بسبب منهج الأخفش في كتابه القائم على الإيجاز والاختصار؛ لأنّ الأخفش في (المعاني) ذكر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ووجّهها نحويًا في أحد عشر موضعًا[5]؛ فقلة ورود تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في (المعاني) أو قراءته إشارة إلى ضعف عناية الأخفش بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما.

وبعدهما جاء الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه) فتجدّدت عنده العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، لكنها لم تبلغ مبلغها عند الفراء، ولم تقوَ في الرواية بالسند قوّتها عنده، فقد ورد النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في معاني الزجاج في ثلاثة

---

(١) كالمكتبة الشاملة (الإصدار الثالث).

(٢) هذا العدد بعد حذف المتكرر منها، وبعد إبعاد ما ينسب إليه من قراءة.

(٣) انظر: معاني القرآن ١/٢٧٧.

(٤) انظر: معاني القرآن ٢/٤٠٩، والتفسير فيها رواه الطبري في تفسيره ١٣/٧٠٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: معاني القرآن، فهرس الأعلام (ابن مسعود ٢/٨١٨).

وثلاثين موضعًا[1]. وفي هذه المواضع لم يرد النقل فيها بالسند عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا في موضع واحد[2]، أمّا في بقية المواضع فقد جاء النقل بالصيغة المختصرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مباشرة دون إسناد.

أما النحاس فقد بلغت العناية عنده بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما في كتابه (إعراب القرآن) مبلغًا كبيرًا، فاق ما كان عند الفراء بأضعاف، ويتضح ذلك من أكثر من جانب، فمن جهة عدد مرات النقل وردت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في إعراب القرآن في ثلاث مئة وخمسة وخمسين موضعًا[3]، والنحاس في كثير من هذه المواضع يحقّق في الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويخرّج الرواية، كقوله[4]: "قال أبو جعفر: الإسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه"، وقوله[5]: "وهذا أصحها، لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس"، وقوله[6]: "وهذا قول صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس بالأسانيد التي لا تُدفع".

وربّما دعاه كثرة المرويّ عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن يدفع التعارض بين الروايات عنه، ومن ذلك قوله[7]: "وزعم الفراء أن قولَه هو قولُ ابن عباس، قال أبو جعفر: وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق الكلام، كما يقال: لا أعصيك لأنك أنعمت عليّ، وهذا قول ابن عباس على الحقيقة، لا ما حكاه الفراء، لأن ابن عباس قال: "لم يستثن فابتلي" والاستثناء لا يكون في الدعاء، لا تقول: اللهم اغفر لي إن شئت".

---

(١) هذا العدد بعد حذف المتكرر منها، وبعد إبعاد ما ينسب إليه من قراءة.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٨٣.

(٣) هذا العدد بعد حذف المتكرر منها، وبعد إبعاد ما ينسب إليه من قراءة.

(٤) إعراب القرآن ٣/ ٢٩٩.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٣٩٦.

(٦) إعراب القرآن ٤/ ٤٥١.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ٢٣٢، وانظر قول الفراء في: معاني القرآن ٢/ ٢٩٩.

وهكذا تتنوّع صور عناية النحاس بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، لتدلّ على قوة عنايته به روايةً ودرايةً.

ويمكن أن يُستخلص من هذا الإجمال أنّ العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما كانت عند الكوفيين أسبق منها عند البصريين، وأن من ملامح تطوّر المدرسة البصرية في التوجيه الإعرابي للقرآن التناميَ المتتابع بالعناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، كما ظهر ذلك عند الزجاج ثم النحاس.

ثانيًا: الموافقة والمخالفة بين تفسيره ومعنى الإعراب

ستكون المسائل المذكورة في القسم التطبيقي من هذه الدراسة في الغالب مجال النظر في مدى الموافقة والمخالفة بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ومعاني الإعرابات التي يذكرها النحويون، ولعلّ هذا المجال المحدود بالمسائل المدروسة يشير إلى إلماحات تُوضِح الفكرة، وتمهّد السبيل إلى دراسة شاملة حاصرة تخرج بنتيجة دقيقة في الحكم على مدى الموافقة والمخالفة بين تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ومعاني الإعرابات في القرآن كله.

يجد الناظر في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وما أعربه النحويون في مسائل هذه الدراسة أنّ آراءَ النحويين على اختلاف مذاهبهم، وتباعد عصورهم الموافقةَ في معانيها لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أكثر من الآراء المخالفة له، فالفراء وافق إعرابُه تفسيرَ ابن عباس رضي الله عنهما في تسع مسائل[1]، وخالفه في أربع[2]، والأخفش جاء إعرابه موافقًا لتفسيره في ثلاث مسائل[3]، ومخالفًا له في مسألة واحدة[4]، والزجاج وافق إعرابُه تفسيرَه في ست مسائل[5]، وخالفه في ثلاث مسائل[6]،

(١) انظر المسائل: ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٣، ١٤.
(٢) انظر المسائل: ٢، ٧، ٨، ٩.
(٣) انظر المسائل: ٢، ٥، ١٣.
(٤) انظر المسألة ١٠.
(٥) انظر المسائل: ٣، ٤، ٧، ١١، ١٢، ١٣.
(٦) انظر المسائل: ٦، ٨، ١٠.

وجعل الرأي الموافق لتفسيره أحد الأوجه الجائزة في مسألة واحدة[1]، والنحاس وافق إعرابُه تفسيرَه في ست مسائل[2]، وخالفه في مسألتين[3]، وجعل الرأي الموافق لتفسيره أحد الأوجه الجائزة في مسألتين[4].

وبعض هؤلاء النحويين ينصّ على تقوية ما يرجحه من الأوجه الإعرابية بموافقة معناه لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا ظاهر عند النحاس الذي أكثر في (إعراب القرآن) من ذكر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، ومن أمثلة ذلك قوله[5]: "وأولى ما قيل في الآية ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ قال: في سابق علمه".

ومن جهة أخرى يظهر أثر موافقة الإعراب لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما عند النحويين من خلال العبارات التي يصوغونها في بيان معاني الآيات، بحيث تكون صياغات عباراتهم كأنها التفسير الإعرابي لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا ظاهر عند الفراء والزجاج والنحّاس في أكثر من موضع، ومن أمثلة ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾: "يقول: قد أفلح مَن زكّى الله نفسه"، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: "يقول: وقد خاب مَن دسّى الله نفسه فأضلّه". وهذا التفسير لمعنى الآية صاغه الفراء والزجاج[6] صياغة كأنهما يشرحان فيها قول ابن عباس رضي الله عنهما شرحًا إعرابيًا، من خلال بيان التقدير الإعرابي بإعادة الضمير في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾ على معنى التأنيث في ﴿مَنْ﴾، لأنّها بمعنى النفس، فقال الفراء[7]: "قد أفلحت نفس زكّاها اللهُ، وقد خابت نفسٌ دسّاها".

---

(١) انظر المسألة ١.
(٢) انظر المسائل: ٢، ٥، ٧، ١١، ١٢، ١٣.
(٣) انظر المسألتين: ٦، ٨.
(٤) انظر المسألتين: ١، ٤.
(٥) إعراب القرآن ٤/ ١٤٨.
(٦) انظر: المسألة (١٤) في هذه الدراسة.
(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧. وانظر القول بحروفه عند الزجاج في: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢. وانظر قريبًا من هذا في قوليهما في المسألة ١١.

ومن الأمثلة أيضًا أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]: "يقول: سمعُه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه". فشرح النحاسُ هذا القول وقدّره إعرابيًا فقال[2]: "فقول ابن عباس رضي الله عنهما: (سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه) قال أبو جعفر: فعلى هذا القول ﴿الإِنسَانُ﴾ مرفوع بالابتداء، و﴿بَصِيرَةٌ﴾ ابتداء ثان، و﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأول، وشرحُه: بل الإنسانُ على نفسه من نفسه رقباءُ تحفظه وتشهد عليه".

والنتيجة الأولية المستخلصة من هذه الإلماحات تؤكّد ما ذكر سابقًا من تقدّم العناية الكوفية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما ممثّلة بالفراء على البصرية التي يمثلها هنا الأخفش في معانيه، وأن العناية البصرية بتفسيره بلغت عند النحاس مبلغًا كبيرًا، يدل على ظهور أثر تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في تطوّر التوجيه الإعرابي للقرآن الكريم عند البصريين.

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣/٤٩١، والتفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) ٤/٥٦٤.

(٢) إعراب القرآن ٥/٨٢.

الخاتمة

هذه خلاصة دراسةٍ موجزة تَتَغَيّا النظر في الاستدلال بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما في إعراب القرآن، ويُمكن التركيز هنا على أبرز نتائج هذه الدراسة، وعلى التوصيتين اللتين خرجت بهما، وذلك من خلال الإيجاز الآتي:

١. توافرت لابن عباس رضي الله عنهما مقوّمات التميّز في التأويل، واللطفِ في إيضاح معاني التنزيل، فجعلت تفسيره للقرآن بأعلى المنازل في المعنى وفي الإعراب.

٢. نشأ النحو ونهض في ظلالٍ علميةٍ تدرُس كتابَ الله تعالى، وتتباحث لأجل الوصول إلى الفهم الصحيح لكلامه عزّ وجلّ؛ فتأثر النحويون ومعربو القرآن منهم خاصة بتلك البيئة العلمية، فكان التفسير بالمأثور من أبرز ما يعتمدون عليه في التوجيه الإعرابي للقرآن.

٣. برزت ظاهرة العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما عند النحويين في وقت مبكّر جدًا، وكان من أبرز فرسانها الفراءُ الكوفي، والنحاس البصري، وهذا يدل على سبق الكوفيين في ذلك، كما يدلّ على أنّ العناية بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما صورة من صور التطوّر في الفكر النحوي عند البصريين.

٤. أثبتت الدراسة من خلال أربع عشرة مسألة تطبيقية في إعراب القرآن أن الثابت من تفسير ابن عباس دليلٌ صحيحٌ ينبغي النظر إليه عند إعراب الآية، والتحاكم إليه عند تعدد الأوجه في تقديرها الإعرابي.

٥. إذا كان قول ابن عباس رضي الله عنهما مقدَّمًا على قول غيره من المفسرين عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير ـ كما قال الزركشي ـ فإن الوجه الإعرابي لآي القرآن الموافقَ معناه لتفسير ابن عباس رضي الله عنهما مقدّمٌ على غيره من الأوجه الإعرابية عند تعارضها.

٦. ظهر في أثناء الدراسة التطبيقية ما يُشير إلى أن الفراء ربّما كان يراعي قول ابن عباس رضي الله عنهما في صياغة عبارته التي يبيّن فيها معنى، ولا يستعمل فيها المصطلحات الإعرابية، وتلك الصياغات تُوهِم أنه يفسّر الآية فقط، ولا ينظرُ في إعرابها، وهو فيما يظهر يحاول الجمع في ذلك بين التفسير والتقدير الإعرابي، وخير مثال على هذا قوله المنقول في المسألة الأخيرة من القسم التطبيقي.

أمّا التوصيتان العلميتان: فالأولى منهما هي الدعوة إلى النظر في مواضع الخلاف النحوي في إعراب القرآن الكريم في ظل التفسير بالماثور عامة، وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما خاصة؛ بغية الوصول إلى المراد الصحيح من كلام الله تعالى تفسيرًا وإعرابًا، وهي فكرة بحثية أظهرت لها هذه الدراسة ـ على أمل التوفيق فيها ـ القيمة العلمية ، وأضاءت لها المدخل.

والتوصية الثانية هي الدعوة لدراسة كلام الفراء في (معاني القرآن) الذي شرح فيه الآيات دون أن يصرّح بإعرابها أو يستعملَ المصطلحات النحوية في ذلك، وموازنة صياغات عباراته بالماثور من التفسير عامة، وتفسير ابن عباس خاصة؛ للخروج بنتيجة موثّقة تثبت أو تنفي مدى عناية الفراء في صياغات عباراته تلك بالجمع بين التفسير المأثور والتقدير الإعرابي.

أسأل الله تعالى أنْ يبارك في الجهود، وأنْ يُسدّد الآراء والأقوال والأفعال، وأن يُعظم الأجر ويُجزل المثوبة؛ إنّه جوادٌ كريم. وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

* * *

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، دار عالم الفوائد.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ت: عبدالرحمن العثيمين، ط١، ١٤١٣هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- إعراب القرآن، للنحاس، ت: زهير غازي زاهد، ط٣، ١٤٠٩هـ، عالم الكتب، بيروت.
- أمالي ابن الشجري، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أمالي الزجاجي، ت: عبدالسلام هارون، ط٢، ١٣٠٧هـ، دار الجيل، بيروت.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ت: مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البداية والنهاية، لابن كثير، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي / عبدالله الدرويش، ط١، ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.
- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري، ت: طه عبدالحميد طه، الهيئة المصريةالعامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد صقر، ط٢، ١٣٩٣هـ، دار التراث.
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت.
- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من سورة الروم إلى سورة الشورى، رسالة ماجستير، صالح بن محمد الجهني، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦_ ١٤٠٧هـ.
- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، رسالة ماجستير، محمد بن عبدالله الفالح، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧ه.
- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العنكبوت، رسالة ماجستير، سعود بن عبدالعزيز الحمد، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦_ ١٤٠٧هـ.

- تحقيق المرويّ عن ابن عباس من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس، رسالة ماجستير، حامد بن يعقوب الفريح، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تحقيق المرويّ عن عبدالله ابن عباس في سورة النساء والمائدة والأنعام، رسالة ماجستير، ناصر بن عبدالرحمن العمار، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ.
- تحقيق وتخريج المرويّ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم، رسالة ماجستير، محمد المنصور الفائز، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفسير بالمأثور نقد للمصطلح وتأصيل، مساعد الطيار، مقالة علمية نشرت في مجلة البيان، العدد ٧٦، ذو الحجة ١٤١٤هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم.
- التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، حكمت بشير ياسين، ط١، ١٤٢٠، دار المآثر، المدينة النبوية.
- تفسير الطبري: جامع البيان.
- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، عبد العزيز الحميدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي، ت: عبدالرحمن سليمان، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٤هـ،دار عالم الكتب، الرياض.
- جامع الترمذي، ط٢، ١٤٢١هـ، دار السلام، الرياض، طبعة خاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني السعودي.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الجنى الداني، للمرادي، ت: فخر الدين قباوة ومحمد الفاضل، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ت: بدرالدين قهوجي وبشير جويجاتي، ط٢، ١٤١٣هـ، دار المأمون للتراث، دمشق.
- الدر المصون، للسمين الحلبي، ت: أحمد الخراط، ط١، ١٤٠٦هـ، دار القلم، دمسق.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار هجر، القاهرة.
- رصف المباني في حروف المعاني، للمالقي، ت: أحمد الخراط، ط٢، ١٤٠٥هـ، دار العلم، دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري، ت: حاتم الضامن، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط٣، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، ت: صاحب أبو جناح.
- شرح الكافية، للرضي، ت: حسن الحفظي ويحيى بشير مصري، ط١، ١٤١٤/١٤١٧هـ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- صحيح البخاري، ١٤١٤هـ، دار الفكر.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت: عبدالعزيز بن باز وآخرين، دار المعرفة، بيروت.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمداني، ت: محمد النمر وفؤاد مخيمر، ط١، ١٤١١هـ، دار الثقافة، الدوحة.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ط١، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكامل، للمبرد، ت: محمد أحمد الدالي، ط٢، ١٤١٣هـ،مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كتاب الشعر، لأبي علي الفارسي، ت: محمود محمد الطناحي، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- كتاب سيبويه، ت: عبدالسلام هارون، ط٣، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب، بيروت.

- الكشاف, للزمخشري,ت: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، ت: محيي الدين رمضان، ط٤، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كشف المشكلات، للأصبهاني، ت: محمد الدالي، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- اللامات، للزجاجي، ت: مازن المبارك، ط٢، ١٤٠٥هـ، دار الفكر، دمشق.
- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- مجالس ثعلب، ت: عبدالسلام هارون،ط٥، دار المعارف، القاهرة.
- مجالس العلماء، للزجاجي، ت: عبدالسلام هارون، ط٢، وزارة الإعلام، الكويت.
- مجمع الزوائد : بغية الرائد.
- المحتسب، لابن جني، ت: علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي،ت: السيد عبدالعال إبراهيم، ط١، ١٤١١هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، ت: حاتم الضامن، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.معاني القرآن، للأخفش، ت: هدى قراعة، ط١، ١٤١١هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- معاني القرآن، للفراء، ط٣، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب، بيروت.
- معاني القرآن الكريم، للنحاس، ت: محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٨ه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ت: عبدالجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب، بيروت.
- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إميل يعقوب، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المعجم الكبيرن للطبراني، ت: حمدي عبدالمجيد السلفين مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، ت: عبداللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- المفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الأعراف والأنفال والتوبة، رسالة ماجستير، حمد بن صالح القرعاوي، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.
- المفسّر عبدالله بن عباس وتحقيق المرويّ عنه في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، رسالة ماجستير، محمد بن صالح العبدالقادر، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠_١٤٠١هـ.
- المفصّل في علم اللغة، للزمخشري، تقديم: محمد عز الدين السعيدي، ط١، ١٤١٠هـ، دار إحياء العلوم، بيروت.
- المقتصد، لعبدالقاهر الجرجاني، ت: كاظم المرجان، ١٩٨٢م، وزارة الثقافة والإعلام العراقية.
- المقتضب، للمبرد، ت: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- مناهل العرفان ٢/١٢، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، ت: فواز زمرلي، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

* * *